أحوال الأمة وظروف قيادتها في عهد الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام

المدرس المساعد
ابتسام عبد الرحيم فرحان
المديرية العامة لتربية الرصافة/٢

الباحثة
ياسمين عاشور يونس
المديرية العامة لتربية الرصافة/٣

المقدمة:

تقف السنة النبوية موقفا إعلامياً فريداً من نوعه في بث فضائل أهل البيت ودعم كل وسيلة من شأنها إيصال الصورة الحقيقية لخلفاء رسالة الله بعد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، فالقضية ليست شورى بين المهاجرين والأنصار أو ما الحكم إلا لله. ذلك الشعار الذي رُفع يوم صفين وقال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: "كلمة حق يراد بها باطل". لذا فالمتتبع لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله بحق أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً يجد أنه تارةً يبين مقامهم الذي اوجب لهم الخلافة الإلهية كما في قوله للزهراء عليها السلام "إني وإياك وهذين وهذا الراقد - يعني علياً - يوم القيامة في مكان واحد"(١). وتارة أخرى يبين منزلتهم عند الله فيقول صلى الله عليه وآله: "من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني"(٢). فهو صلى الله عليه وآله يقرن هذا الحب وعدم البغض لكونهما: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"(٣)، فالسيادة لهما حتى في الجنة وهي دار غير دار السلطة الدنيوية بل دار السلطة الإلهية وهو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: "الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا"(٤) فحدد بذلك مقامهما ودورهما في الأمة هذا من جانب. ومن جانب آخر فقد اثبت الرسول صلى الله عليه وآله للحسن الإمامة رغم صلحه لمعاوية. فالصلح لم ينزع عنه الشرعية الإلهية أو التكوينية أو الوضعية. فالحسن عليه السلام إمام سواء أقام بالسيف أم صالح معاوية واتخذ طريق السلم.

وما نجده في أحاديث جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله كان مرتكزا على نقطة هي محور الانطلاق في كيفية التعامل معهما وهو توجيه الأمة لحبهما: "أنا أحبهما فأحب الله من أحبهما"(٥)، لا لكونهما: "الحسن والحسين ريحانتاي من الجنة"(٦) فحسب بل لأنهما (إمامان إن قاما وإن قعدا)، فتوجيهه للأمة كان أن تحبهما وتسعى لكسب رضاهما، ورضاهما لا ينال الا بطاعتهما.

في حين نجده صلى الله عليه وآله في خطابه عن الإمام علي عليه السلام وتعامله معه يأخذ منحى آخر إذ اثبت صلى الله عليه وآله له منزلة أعلى واشرف منهما: "يا علي أنت وصيي ووارثي وأبو ولدي وزوج ابنتي. أمرك أمري، ونهيك نهيي اقسم بالله الذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية، انك لحجة الله على خلقه، وأمينه على سره وخليفة الله على عباده"(٧). ونجد ان الأئمة عليهم السلام يحذون حذو الرسول في بيان أفضلية أبيهم المرتضى عليه السلام على سائر المعصومين عليهم السلام، فهذا الحسن عليه السلام يرد على رجل سمعه يقول له يا ابن فاطمة قائلا له: "قل ابن علي بن أبي طالب فأبي خير من أمي"(٨). وأفضلية علي عليه السلام لكون الله تعالى "قد نصبه لكم وليا وإماما وفرض طاعته على كل احد. ماض حكمه. جائز قوله. ملعون من خالفه. مرحوم من صدقه. اسمعوا له وأطيعوا. فإن الله مولاكم وعلي إمامكم ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة. لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله. ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله وهم"(٩).

من هنا نعلم لمَ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: "إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا انك لست بنبي ولكنك وزير"(١٠)، إذ حجية الأمير عليه السلام أخذت شرعيتها من المقام الذي ناله عند الله عزّ وجل. ولهذا حينما عُرج بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كلمه الله بصوت علي عليه السلام لأنه اطلع إلى قلبه فوجد أن أحب الناس إليه هو الإمام علي، فحدثه بصوته ليسكن قلبه ولكون الإمام علي حاز الدرجات العلى فسانخ في وجوده وجود النبي صلى الله عليه وآله. في ذلك المقام الذي يقول الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (النجم: ١٨). وما يلفت الانتباه أن الإمام

علي عليه السلام كان يقول: "ما لله عزّ وجل آية هي أكبر مني ولا لله من نبأ أعظم مني"[١١]، فلا يبعد أن يكون صلى الله عليه وآله قد رأى الإمام علي في ذلك المقام.

وفي الدنيا اجتمع الناس بعد حجة الوداع في غدير خم بعد انتهاءهم من الحج فخطب بهم رسول الله صلى الله عليه وآله ورفع يد الإمام علي عليه السلام وقال: "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"[١٢]. ليكون تمام دعوته وإكمال دين الله بتنصيب الوصي من بعده ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). وبذلك نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله اثبت للحسنين الحب وأثبت الولاء للإمام علي عليه السلام. والحب منزلة دون الولاء لكن من أحب آل البيت سهل عليه موالاتهم. هذا من جانب.

ومن جانب آخر فمعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمه بتعليم من الله أن الحسنين لن يتوليا الخلافة. بينما سيتولاها أبوهما هي من جعلت رسول الله صلى الله عليه وآله يحث الناس على حبهما. وعلى الولاء لأبيهما عليهما السلام جميعاً. لذلك نص على الإمام علي عليه السلام وأشار إلى وجوب تولي الأئمة من ولده وحددهم بالعدد والاسم كي تبقى الشرعية الإلهية في وجوب توليهم وان أغفلت الشرعية السياسية حقهم فقال: "أنا سيّد النبيّين وعليّ سيّد الوصيّين وانَّ أوصيائي بعدي أثني عشر أوَّلهم عليّ وآخرهم المهدي"[١٣]، فلم يترك مناسبة دون أن ينص على الإمام علي عليه السلام ويحث الأمة على التمسك به والالتفات إلى وجوب التمسك بالأئمة المعصومين. إذن فحب أمير المؤمنين عليه السلام مفروغ منه. والولاية قد انحصرت به "ووال من والاه وعاد من عاداه". وبين الولاية والمحبة علاقة العموم والخصوص، فالمحب لعلي عليه السلام يسهل عليه توليه ومبغضه خارج عن الموضوع أصلاً.

ولهذا فمن كان يبغض علياً عليه السلام لم يكن يظهر ذلك علناً إما خوفاً أو هيبةً أو نفاقاً. أو للنصرة الإلهية التي حبي بها أمير المؤمنين عليه السلام. وشوراهم إنما قامت وكما ادعوا لإخماد الفتنة في دين الله ذلك الدين الذي يناصر عليا عليه السلام ويؤازره.

ثم أن أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله كان لها الأثر البالغ في إبقاء الاضغان في القلوب. فيقول النبي صلى الله عليه وآله: "كذب من زعم أنه يتولاني ويحبني وهو يعادي هذا ويبغضه، والله لا يبغضه ويعاديه إلا كافر أو منافق أو ولد زانية"(١٤)، لذا كان مبغضيه لا يظهرون ذلك البغض كي لا يوصموا بعار عهر الأمهات.

والقرآن وسع دائرة المحبة والولاية لأهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وقيدها بالمودة: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى٢٣)، فقد ضمنت آية القربى الحب والولاء لأهل البيت في المودة. والتي تعني "المَحَبَّةٌ والوِئَامٌ"(١٥)، اذن فالمودة تشمل إضافة إلى المحبة الموافقة في العشرة، لذا قيل في تفسير المودة بأنها "الشعور بالانسجام بين شخصين أو أكثر ينبع من الاحتكاك الاجتماعي والعاطفي الدائم"(١٦)، فالحب وحده ليس بمودة وكذلك الولاء من دون حب، ولابد من أن ينضوي بينهما (مع الحب والولاء) عامل آخر هو البراءة من أعدائهم إذ من المستحيل أن يتحقق الوئام والانسجام مع حب وتولي أعداء الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة:١٣)، إذ إن تمام الولاية لا تكون إلا بالتبري ممن يعاكس ويضاد من نتولى، فالبراءة والولاية جبهة واحدة لا تتم بواحد منهما فقط بل لابد منهما جميعا. لذلك قال الإمام علي عليه السلام لرجل قال له: "إني أتولاك وأتولى فلانا وفلانا، فقال عليه السلام: أنت اليوم أعور فانظر تعمي أو تبصر"(١٧)، فالذي ينصر أنصار الله عليه أن يتبرأ من أعداء الله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب:٤).

لهذا نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عمل على ترسيخ هذا المبدأ في الأمة وبناء قاعدة شعبية واسعة ينطلق منها الإمام علي عليه السلام في نشر الدين تمثلت هذه القاعدة بتربيته ثلة من أصحابه ليكونوا قادة الأمة عند تولي الإمام علي عليه السلام زمام السلطة، و قد تجلى نضج هذه الثلة عندما بايعته ووقفت إلى جانبه في اشد حروبه ضراوة وأكثرها تخليقاً للفتنة وزراعةً للفرقة. ومع إن الأمة قد تنصلت عن دورها في مولاة

أهل البيت عليهم السلام واتخذت طريقا غير الذي كان يريده لها رسول الله صلى الله عليه وآله إلا إن ذلك لم يثن عزيمة النبي صلى الله عليه وآله في توعية الأمة لكي تختار لرشدها. ونجد ذلك واضحا من خلال اعتراف أعداء أمير المؤمنين عليه السلام واشد مبغضيه بفضله وعلمه وسابقته فعن أبي حازم، قال: جاء رجل إلى معاوية، فسأله عن مسألة، فقال: سل عنها عليّاً فهو أعلم، فقال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحبّ إليّ من جواب علي، قال معاوية: بئسما قلت: لقد كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغزره بالعلم غزراً، ولقد قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي"[١٨].

وها هو أمير المؤمنين عليه السلام يقوم بالدور نفسه في تنمية وعي الأمة من أجل أن تساند الحسن عليه السلام في قيادتها ومن اجل أن يمضي بها إلى سبل الخير كما عمل على أن يخص ثلة من أصحابه بالعلم والوعي ليكونوا حماة الدين في عصر كله فتنة، وابرز محن وفتن هذا العصر تمثلت بسلطة المال التي فرقت فيه بين المؤمن الحق من المنافق. ومعاوية كان قد أدرك غاية الإمام علي عليه السلام تلك، فكان يشتري الضمائر والنفوس ويدفع بالناس إلى عداءِ أهل البيت من أجل الحصول على مكاسب دنيوية. كما أنه صنع لنفسه شرعية في قبالة شرعية الحسن عليه السلام. ثم بعد ذلك راح يفاوضه على الصلح الذي قبل به الحسن عليه السلام من أجل الإبقاء على شيعة أبيه ومن أجل إخراجهم من ظلمات الفتن إلى فجر القربان الذي أعاد الدين إلى نصابه يوم استشهاد الحسين عليه السلام والسادة من أهل بيته وأصحابه.

وسيكون بحثنا على مبحثين يتضمن الأول منهما محورين نناقش في المحور الاول هيبة الإمام الحسن وحقه السليب. وفي المحور الثاني وراثته لأبيه الإمام علي عليه السلام.

وأما المبحث الثاني فيقع على محاور أربع هي:

١- مكاتبات الإمام علي عليه السلام لمعاوية ومواجهة الحسن له.

٢- الحسن بن علي عليه السلام عالم ضاع بين جُهّال.

٣- دور الأصحاب في قيادة الأمة.

٤- بين ابن ملجم وجعدة.

المبحث الأول

١- هيبة راسخة وحق سليب:

كل الإعداد والتربية التي أسس قاعدتها النبي محمد صلى الله عليه وآله في دولة الإسلام ومركزه المدينة المنورة وقف في مواجهة اخطر انقلاب في تاريخ النبوة والرسالة. إذ كل الانقلابات السالفة في الأمم السابقة لأمة محمد صلى الله عليه وآله كانت تأتي تدريجيا وبعد قتل نبيهم، وبعد أن يكونوا قد مهدوا وفي حياته لوأد حركته وخصوصا ان اغلب تلك الحركات كانت محدودة ولم تكن هناك مواجهات عسكرية بين الإيمان والكفر كما كان بين المسلمين والمشركين والتي أدت إلى فتح مدن ودول تحت راية الرسول نفسه، فالانقلاب في أمة الإسلام جاء عاصفا ومدويا وفي فترة وجيزة ليعلن خليفة للرسول مغايرا لمن نصبه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم، لذا تحتم على الإمام علي عليه السلام التعامل مع هذا الوضع بحنكة وهوادة كي لا ينجح ذلك الانقلاب ويشوه الإسلام كما تشوهت معالم الأديان السابقة. من هنا نجد أن أصحاب السقيفة بعد نجاحهم في سلب الخلافة السياسية من أمير المؤمنين عليه السلام عملوا على ترسيخ أقدام حكومتهم الشورائية في ضمير الأمة كي يستمر هذا السلب (تحت شعار الشورى) إلى يوم الدين. وهو ما دفع أمير المؤمنين عليه السلام إلى كشف ذلك المخطط البعيد الأمد بقوله: "لقد نظرت قريش لنفسها فرأت أنها إن زوت هذا الأمر عن أهل بيت الرسول صار دولة بينهم". ومن هنا نعلم علة إرجاع الإمام الحسن عليه السلام سبب سقوط السلطة السياسية بيد معاوية إلى الأمة نفسها فيقول عليه السلام عن سلطان محمد وحقه في كتاب له لمعاوية: "تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته واسرته واولياؤه، ولا يحل لكم ان تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب ان القول ما قالت قريش، وان الحجة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم وسلمت اليهم، ثم حاججنا قريشا بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا إنصاف العرب لها"[١٩].

وابرز ما قامت به السلطة الحاكمة آنذاك هو اتخاذ التدابير اللازمة من أجل تزييف وعي الأمة وذلك بخلق وعي جديد يضع الصحابة في قبالة أهل البيت، والرأي في قبالة الوحي. فكان للثاني أن يرد حكماً لله ورسوله بقوله: "متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما"[٢٠]، والثالث بتحريمه للمصاحف واعتماد المصحف الذي جمعه زيد ابن ثابت، ونهي الثلاثة عن كتابة الأحاديث وبروز أبو هريرة وعائشة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والسماح لكعب الأحبار أن يدس الإسرائيليات في سيرة النبي وسنته اضافة إلى نبذ كل الأحاديث التي روتها الزهراء عن أبيها صلى الله عليه وآله أو الأحاديث التي رواها أمير المؤمنين عن ابن عمه صلى الله عليه وآله. كل تلك التدابير جعلت أولئك الثلاثة يوفقوا في خلط الحق بالباطل على الأمة حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل: "اعرف الحق تعرف من أباه، واعرف الباطل تعرف من أتاه، أعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال"[٢١] ومقالته هذه تبين أن موازين الأمة قد انقلبت وصار الناس بلا معيار أو بمعيار غير صحيح والذي أصبح الضابطة التي على ضوئها يقيسون ما تمر به الأمة من فتن. إذن فمسيرة الضلالة قد بدأت منذ اللحظة التي تخلت بها الأمة عن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله والتي هي حبل ممدود بين السماء والأرض.

إن التدابير التي اتخذها مغتصبو الخلافة كانت شديدة ودقيقة ومن عدة زوايا سواء ما تمثل بتنحية الإمام علي عن المنصب الإداري كأحد البنود الأساسية في وثيقة السقيفة أو كما اتضح من نبذ الحديث النبوي ومن تعمية تفسير القرآن وسبب النزول ناهيك عن كتابته، وبما أن من يقف بوجه مخططاتهم البعيدة الأمد هذه هو الإمام علي عليه السلام وهو من تولى مواجهتهم الفعلية من خلال تصحيح الأحكام المغلوطة التي يحكم بها أولئك الخلفاء ورد الحكم فيها إلى شريعة الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله، فقد حاول أولئك الثلاثة تسقيط الإمام على عليه السلام من عين الأمة بشتى الوسائل، وحين فشلوا بذلك قاموا بقتله وهذا كان ديدن كل من حكم بعدهم مع كل إمام معصوم من ولد الإمام علي عليه السلام. ولأن الإمام علي عليه السلام أكبر

من إن يتمكنوا من تسقيطه، ولأن وعي الأمة كان حاضراً عمدوا إلى خطتين:

الأولى: وتتمثل في تهميشه، وقد فوتها عليهم بأن اعتكف هو في منزله لجمع القرآن. واعتزلهم ما سلمت امور المسلمين وإلا فهو حاضر ومستعد لنصرة الدين وان كان بمفرده.

والثانية: وتمثلت باتجاهين: أولهما في انتهاك حرمة الزهراء عليها السلام في حياتها باقتحام بيتها، وإحراق باب دارها ولطم وجهها، وغيرها من الأمور التي تطول. وثانيهما: هي بجعلها امرأة من عرض الناس إن لم يكن أقل (حاشاها) فمنعوها فدكاً. وحين طالبت بحقها طالبوها بالشهود، وعندما أحضرتهم ردوا شهودها وهم الإمام علي عليه السلام لأنه زوجها ويريد الخير لنفسه، وابناها لأنهما غير بالغين، وأم أيمن لأنها امرأة وفي الشهادة ينبغي أن تكون هناك امرأتان. والحقيقة هي أنهم أرادوا تقويض منزلتهم باعتبارهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهراً. وقد نبه الإمام علي عليه السلام الأمة إلى ذلك بأن سأل أبا بكر إن شهد أحد بالسيئة على الزهراء هل سيقيم عليها الحد قال: نعم، فقال له الأمير عليه السلام: "إذن تكون رادا على الله ورسوله الذي قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣).

والزهراء عليها السلام أيضا فوتت الفرصة عليهما عندما غضبت منهما وبينت للأمة دلالة غضبها بأن سألتهما وناشدتهما الله هل سمعا رسول الله يقول: "إن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها"[٢٢]، وحين قالا نعم سمعناه من رسول الله قالت: "فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه"[٢٣]. فهي عليها السلام بسؤالهما أولاً عن الحديث أرادت أن تثبت سنده بروايتهما كي لا يحلف حالف منهما فيما بعد انه ما سمعه أو سمع غيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبما أنه قد ثبت غضبها عليهما وهذا الغضب حجة إلهية وهما من أكدا تلك

الحجة التي لا يمكن دحضها حتى من قبلهما اومن قبل من يتولاهما فقد عمدت الأقلام السائرة في ركب السلطة إلى جعل غضبها مجرد غضب امرأة عادية، فعمدوا إلى حادثة مفادها أنها غضبت وذهبت لبيت أبيها لأن الإمام علي خطب بنت أبي جهل، فنهاه الرسول عن إغضابها فترك الخطبة وعادت للبيت. وقد رد كل من الزهراء والإمام علي عليهما السلام على هذا التزييف بطريقته، فقال علي عليه السلام: "فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل. ولا أغضبتني ولا عصت لي أمر، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان"(٢٤). على أن رد الزهراء تمثل في وصيتها التي كانت ذات شقين: الاول انها اوصت امير المؤمنين بالزواج من ابنة اختها امامة. والثاني كان أكثر صرامة وابعد عن تضعيف سند الحديث أو الاشتباه بأحد رواته لأنه كان ردا عملياً باقيا ومتجليا إلى يومنا هذا لكونها عليها السلام أوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرها، ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها ولا يحضر تشييعها ودفنها أحد ممن ظلمها، "فتولى أمير المؤمنين عليه السلام ذلك ودفنها وعفي موضع قبرها"(٢٥)، فتبقى بذلك كلمتها هي العليا وكلمة الذين غصبوا حقها السفلى.

على أن سير خطتهم في تقويض سلطان الله المتمثل بشرعية الامام علي عليه السلام والأئمة المعصومين "الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش" امتد ليشمل شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. لانهم ادركوا انهم ان كانوا سيجعلون عليا رجلا من عامة الناس فيجب جعل من يرفعه فوقهم من عامة الناس اولا. وهذا ما فعلوه مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ حرصوا على جعله رجل من قريش كل ما يميزه عن باقي الناس الوحي، فقال الأول عند موته: "أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمد قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت"(٢٦)، وهي إشارة قوية لجعل رسول الله شخص عادي كباقي الناس وبمجرد موته انتهت علاقته بالسماء، هذا من جانب ومن جانب آخر تمرير فكرة مريضة وعقيمة في الوقت نفسه وهي أن من يبقى مواليا ومحبا ومتابعا للرسول فانه أشبه بعبادة الرسول في قبال عبادة الله لذا قال

(من كان يعبد محمدا) وقد رد رسول الله على هذه الفكرة الخطرة في مرضه الذي توفي فيه حين قال ائتوني بقلم ودواة اكتب لكم عهدا لن تضلوا بعدي أبداً فقال الثاني: "إن الرجل ليهجر" فرد صلى الله عليه وآله مغضباً: قوموا عني فانه لا ينبغي عند نبي التنازع"[٢٧]، فكأنه يقول انه نبي لا ينطق عن الهوى وليس هو كعامة الناس وتقديسه انما هو تقديس لنبوته ورسالة الله التي بلغها لهم.

لقد كانت أول جرأة على اهل البيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله انتهاك الأول لحرمة ابنته الزهراء عليها السلام والتي لم يقف بعدها انتهاك حرمات أولياء الله عند حد. وكانه كان اشعار للامة ببداية عهد جديد لا مكان فيه لمن يوالي اهل البيت ما داموا قد فعلوا ذلك بابنته فما بالك بعامة الناس. وانتهكت المرأة حرمة الإمام علي عليه السلام زوج البتول الطاهرة عليها السلام، فخرجت عليه وهو خليفة المسلمين وفق البيعة الجماهيرية التي حظي بها بعد مقتل الثالث، فأن أنكرت مبدأ الخلافة الإلهية كما أنكرها من كان قبلها فلا مبرر لإنكار خلافته التي نالها وفق المعايير السياسية التي احتج بشرعيتها أبيها من قبل. فهتكت ستر رسول الله صلى الله عليه وآله بخروجها هذا، وحاربت الإمام عليه السلام ومعه الصحابة والقراء، فجرأت الأمة على قتاله وفتحت الباب على مصراعيه لمعاوية كي ينازع أمير المؤمنين عليه السلام حقه بالخلافة، وانتهى القتال برفع المصاحف ومهزلة التحكيم ثم مروق أصحاب النفوس الضعيفة عن الدين كما يمرق السهم من الرمية فكانت حرب النهروان.

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قصة طالوت وقيادته للجيش الذي خرج لقتال جالوت. قال تعالى على لسان طالوت: "إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم" إن الذين اغترفوا الغرفة هم الذين قالوا لطالوت: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩). فهناك من سقط قبل أن يتراءى له جيش جالوت ومنهم من سقط بعد ذلك ومنهم من ضعفت عزيمته عند القتال وهم من اغترفوا الغرفة

فكذا كان شأن العديد ممن قاتل مع الإمام علي عليه السلام. لقد مر جيش طالوت بثلاث ابتلاءات كان الابتلاء الاول في شخص طالوت: ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ (البقرة: ٢٤٧). وهو ذات اعتراض القوم على ولاية امير المؤمنين عليه السلام. "فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر" والزهراء عليها السلام من اسمائها الكوثر وهو نهر في الجنة يسقي رسول الله صلى الله عليه وآله منه المؤمنين. هذا يعني ان الله ابتلى الامة بالزهراء عليها السلام. وكان الابتلاء الثاني: "فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم". كان استثناء طالوت لمن اغترف الغرفة من اجل ان يمحصوا في الابتلاء الثالث: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩). لقد محص امير المؤمنين والزهراء عليها السلام شيعتهما والأمة من خلال الولاية وفدك وغضب الزهراء. وغربل الحسن عليه السلام الناس بصلحه مع معاوية. والحسين عليه السلام نخل الناس حتى بقي معه الصفوة والخلص من اتباعه واهل بيته. اي ان جماعة المؤمنين مروا بثلاث مراحل للابتلاء كي يبقى المخلصون لنصرة دين الله.

نعم لقد مُحصتْ الأمة بالبلاء في فتنة الجمل حتى تبين الغث من السمين وغربلوا في صفين حتى تخلى رهبان الليل - كما يسمونهم - عن أمير المؤمنين. ومع هذا فقد كان جيش الإمام علي عليه السلام على بينة من أمره في حق الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل وما زال الصحابة والقراء يذكرون غدير خم ومبايعتهم له بإمرة المؤمنين لذلك رجع معاوية إلى الشام بعد صفين وامتنع من البيعة بينما مات أمير المؤمنين عليه السلام وهو يجهز جيشا لقتال أهل الشام.

إن تمحيص الأمة من قبل الإمام علي ومن قبل الزهراء عليها السلام جعلت المجتمع الإسلامي ينشطر إلى قسمين موالي ومعادي، إلا إن خطوط وتقاسيم هذين القسمين بقيت ضبابية وغير واضحة المعالم للسياسة المتبعة في عهد الخليفتين

الأوليين خصوصا وإلا ففي عهد الثالث برزت تلك الخطوط العامة الفاصلة ما بين الجبهتين ولذا نجد الانقلاب والثورة ضد الثالث والتي انتهت بقتله وتكالب الأمة على بيعة الإمام علي عليه السلام لذا يشير الإمام علي عليه السلام إلى تغير الزمان في عهده بعد موت الصحابة الذين رأوا رسول الله واتبعوا برهانه. فكان يقول: "وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، نَقْتُلُ آبَاءَنا وأَبْنَاءَنَا وإِخْوَانَنا وأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذلكَ إلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً" حتى قال: "لَوْ كُنّا نَأْتي ما تَأْتُونَ ما قامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمانِ عُودٌ"[٢٨]. فمجرد وجود فكرة الانقسام بين صفوف المسلمين كان أمرا خطيرا للغاية لان هذا الانقسام لم يكن بين جبهتين مسلمة ومشركة كما كان في عهد الرسول بل بين مسلم موالي ومسلم معاند، لذا قبل الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد الثلاثة من اجل وحدة الإسلام كما أن قبول الحسن عليه السلام للصلح كان لنفس الغاية خصوصا إن التغيير السلبي للأمة بقي مستمرا "وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، وانتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون منا ثأره، وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر"[٢٩].

هذا التغير والتبدل في المعايير والقيم الاجتماعية والسياسية في أمة النبي الخاتم في عصر الإمام علي عليه السلام رغم قرب العهد بعصر رسول الله صلى الله عليه وآله ورغم وجود الصحابة وحفظة الأحاديث النبوية فيعمد الإمام عليه السلام إلى سياسة الإقرار والاعتراف من قبل الجمهور على اختلاف مشاربه، فحين انصرف من صفين خطب في الناس وقال لهم من سمع حديث غدير خم من رسول الله فليقم فقام ثلاثة عشر رجلا وناشدهم الله إن كانوا سمعوا ذلك منه فشهدوا[٣٠]. وهذه الشهادة لا يمكن حتى لعائشة زوج رسول الله أن تردها فما بالك بالطليق ابن الطليق معاوية. فكان حريصا على أن يتستر في أفعاله ويتحذر في أقواله ولا يحاجج الإمام علي عليه السلام في حق ولا باطل. وقد سمع الثاني يقول له: دعنا من حججك فما حاجك أحد وفلج عليك". كما كان عمرو بن العاص يقول لمعاوية: "وما

نسيت فلا تنسى انه على حق وانك على باطل"[٣١]. ولان كبد الحمزة تلوكه ام معاوية ما زال طريا في ذاكرة المسلمين والقلوب حرى من السيوف التي كان أبيه يحز بها رقابهم ليستأصل شأفتهم. لذا عمل معاوية منذ إن ولاه الأول ولاية الشام على تخدير وعي الأمة بالمال فكانت له صنائع وعيون في جيش الإمام علي عليه السلام يدسون ويخذلون. لكن تأثيرهم لم يبلغ حداً يسلمه السلطة لعنفوان أمير المؤمنين والتفاف أصحاب رسول الله وأصحابه من حوله بينما حقق غايته هذه مع الإمام الحسن عليه السلام فقلب عسكره عليه قبل أن يدخل المعركة ويقاتل.

٢ـ الإمام الحسن ووراثة أبيه:

استلم الإمام الحسن عليه السلام الخلافة بعد مبايعة الناس له. تلك المبايعة التي أتت في زمن كان الناس فيه قد ملوا الحروب التي خاضها أبيه عليه السلام ضد أعداء الدين، ومعلوم أن الحروب دائما ما تنتج حصيلة متناقضة من الأهواء والأفكار بل وحتى المعتقدات التي قد تتضارب خصوصا إذا كان هناك من يستغل ظروف الحرب. الأمر الذي أوجب تشكل طبقة من المتنفذين، تلك الطبقة التي عمل الخلفاء الثلاثة قبل أبيه عليه السلام على ترسيخها في الأمة وجعلها قوة في قبالة قوة شرعية أهل البيت متمثلا ذلك بزرع معاوية بن أبي سفيان واليا على الشام. على إن هذه الطبقة كان أساس عملها هو البحث عن مصالحها الشخصية وإن كان على حساب الأمة بمختلف أهوائها. وهي نفسها من كانت تصانع أبيه عليه السلام وتدعي الولاية له والحرص على مصلحة المسلمين إلا أنها أسفرت عن وجهها وصرحت بعدائها لأهل البيت بعد ذلك في زمانه عليه السلام. أما باقي الناس فقد وصفهم أمير المؤمنين ابلغ وصف بأنهم "همج رعاع أصحاب كل ناعق"، لذا كان يتعين على الإمام الحسن عليه السلام أن يقاتل على جبهتين:

الأولى: وهي جبهة فعلية واضحة المعالم في عدائها للدين الإلهي متمثلة بمعاوية ومن ناصره من أهل الشام وممن كان هواه تبعا لهوى آل أبي سفيان. وهذه الجبهة هي عينها التي كان أمير المؤمنين يقاتلها ولولا الاغتيال الذي مني به

الأمير عليه السلام لحسمت المعركة ولكُفيت الأمة شر ذلك الطاغية.

والثانية: وهي جبهة غير فعلية تمثلت بما مني به الحسن عليه السلام من خونة في جيشه ممن قُتِلَ أقاربهم في صفين والنهروان من اهل الكوفة. فقد كاتب رؤساء القبائل في جيش الإمام الحسن عليه السلام معاوية على أن يسلموه الحسن عليه السلام دون قتال أو إن شاء قتلوه. فما كان من معاوية إلا أن بعث بالرسائل إلى الإمام الحسن عليه السلام ودعاه للصلح. وهنا نقف عند لعبة سياسية غاية في المكر. لأن الإمام الحسن عليه السلام إن رفض الصلح قتله جيشه، وإن صالح لامه الخلص من أصحابه، وتمرد غيرهم عليه. وبذلك يحقق معاوية مراده في كل الأحوال، فأن قتله من في جيشه سيكون إذن انقلاباً عسكرياً وبالتالي يفقد حتى الإمام الحسين عليه السلام من بعده الشرعية السياسية في تولي الأمر أو حتى في إبداء المعارضة لمن سيتولى الأمر. وأما إن قبل بالصلح فسيسهل على معاوية بعد ذلك قتله لأن الصلح يكون قد أحدث شرخا بين الإمام عليه السلام ومحبيه أضف إلى ذلك من كان يقف موقف المتفرج ويتحين الفرصة لذا نجد بعض أصحاب الإمام عليه السلام وهم من خلص أصحاب الإمام علي عليه السلام كان يسلم عليه بقوله: "السلام عليك يا مذل المؤمنين"[٣٢]، لذا اختار الإمام الحسن ما هو اقلهما خطرا على الأمة وهو الصلح بعد أن حدد المنهاج الصحيح واشترط ما به حفظ بيضة الإسلام وان تجرأ معاوية بعد ذلك على نكثه إلا إن الدائرة ستدور عليه وسيعلم الناس عندئذ إنه حاكم جائر ومن حق الأمة الخروج عليه وإسقاط حكومته لأنها حكومة وضعية. وهو ما أعطى الشرعية السياسية للإمام الحسين عليه السلام برفض بيعة ابنه يزيد والخروج عليه.

أما ما هذه الجرأة على الحسن عليه السلام وما هذه المنابذة في قتاله وما هذا الصلف في مقارعته وهو وأخيه "إمامان إن قاما وان قعدا" مع أن زمنه ليس ببعيد عن زمن أبيه عليه السلام وهو زمن الصحابة الذين كانت تطرق أسماعهم أحاديث رسول الله بشأن الخلفاء من بعده: "الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي". غير أننا يمكن أن نعزو جرأة معاوية على الخروج عن طاعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربته مع

وجود الشرعية الإلهية من نص رسول الله عليه، ومن المبايعة له يوم غدير خم بإمرة المؤمنين، أضف إلى سابقته بالإسلام وولاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله له، سببين هما:

الأول: السقيفة تلك الاتفاقية التي جابهت ووفقت في مجابهتها لنصوص الرسول صلى الله عليه وآله، وقلبت الحكم الإلهي إلى حكم وضعي شورائي بتنحية الإمام علي عليه السلام عن منصب خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وإدخال أمة رسول الله بدوامة الإرث وفدك، وان الرسول صلى الله عليه وآله لا يورث، ما هو عيني فكيف بما هو قول. وهنا تكمن النكتة فإن كان الرسول لم يورث المنصب الإلهي وهو نبي الله فكيف يورث الإمام علي عليه السلام الحكم لابنه، وليس هو بنبي وبنفس الحجة والمكرمة التي للإمام "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي"(٣٣). وأما أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله بوجوب حجيتهم وإمامتهم فقد انتهكت من قبل الصحابة فانتهاكها كان أسهل في زمن التابعين وغيره.

والثانية: الجمل تلك المعركة التي قادتها إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وثلة من الصحابة كطلحة والزبير ممن سمع من الرسول فضل علي عليه السلام وقوله صلى الله عليه وآله للزبير: "تقاتله وأنت له ظالم"(٣٤). ومع هذا خرجوا لقتاله، والجمل اشد من السقيفة في إثارة الجرأة على إباحة دم أمير المؤمنين، لان الصحابة في السقيفة وما بعدها وفي فتنة عثمان كانوا يتشاتمون ويتسابون لكن السيوف تبقى في أغمادها، ودم المسلم حرام إلى خروج أم المؤمنين على إمام زمانها. وبذلك كانت من وطئ الأمر لمعاوية للخروج على أمير المؤمنين عليه السلام وتنحية الحسن عليه السلام عن الخلافة. فلولا السقيفة لم تكن الجمل ولولا الجمل لم تكن صفين، ولولا صفين لم يكن الصلح ولم تكن عاشوراء.

فحين وصلت الخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام كانت الأمة قد اعتادت إبعاد أهل البيت عن الحياة السياسية مع الإبقاء على حبها لهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: "اللهم إني أحبهما فأحبب من أحبهما"(٣٥)، إلا انه حب هزيل قد فرغته الأطماع

من محتواه (الولاية والبراءة) حتى عبر عنه الفرزدق حين سأله الإمام الحسين عليه السلام عن أهل العراق فقال: "قلوبهم معك وسيوفهم عليك"(٣٦).

وبعد أن أرسى معاوية ترسانته العسكرية وابعد الحسن عن الحكم حاول أيضا سلب الحسن أهم سلاح وأخطره وهو الكلمة. فمعلوم أن أقوى الأسلحة وأثراها وأبعدها تأثيرا هو سلاح الكلمة الذي اعتمده الله جل جلاله في إرسال رسله إلى الخلق. وبما أن الحسن هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب القرآن وابن أمير المؤمنين عليه السلام المنعوت بالقرآن الناطق. فكان لابد لمعاوية من محاربة هذا السلاح ومحاولة إفراغ كلام الحسن عليه السلام من محتواه الحقيقي. وهو طريق بدأه معاوية وثبته وعززه من جاء بعده من الخلفاء الامويين. وخير دليل هو شعر النقائض الذي ازدهر في العصر الأموي بين جرير والفرزدق وقد أشير إليه على انه انعكاس لنقائض الأمة، وترجمة للوضع السياسي آنذاك، إلا إن تشجيع الخلفاء الأمويين على هذه الملاحاة بين الشعراء له بعد اكبر من كونه لعبة سياسية بل هو سلاح في قبال كلمة المعصوم. لأن شعر النقائض في حقيقته يخدم المصالح الأموية فباشتغال الناس به يبعدهم عن الساحة السياسية من جهة، ومن جهة أخرى إدخال الأمة في متاهات الهجاء والهجاء المضاد (شعر النقائض) والذي غالبا ما يقدم بطريقة مسلية على الرغم مما فيه من المبالغة والكذب، وهذه الطريقة في الهجاء أدت إلى إلغاء مادة الإساءة في الشعر وقلبها إلى مادة للتسلية. وهنا كان السلاح المضاد للإمام الحسن عليه السلام من قبل معاوية، فعندما كان الحسن عليه السلام يسطر في كلامه لمعاوية وجماعته دفائن نفوسهم وأصل مولدهم وعلة مقارعته ببلاغته التي ورثها من أبيه وأمه عليهما السلام صار منصرف الناس إلى البلاغة وليس إلى حقيقة معاوية. ولذلك نجد معاوية غالبا ما يعقد مجلسا يضم مجموعة من أصحابه تتوعد النيل من الإمام الحسن عليه السلام كي ما ينعقد في أذهان الناس انه من النقائض النثرية. لذلك كان الحسن عليه السلام شديد اللهجة مع معاوية وأصحابه لكي لا يكون منصرف الناس إلى البلاغة فحسب بل لِلفت انتباههم إلى سبب تلك الشدة في القول. وبذلك نجح

الإمام الحسن عليه السلام بسلاح الكلمة في دحض محاولات معاوية لتسقيطه في نظر الأمة بعد تنازله عن الخلافة وقبوله بالصلح. ذلك الصلح الذي لم يقبل به الإمام الحسن عليه السلام إلا بعد أن وجد الأمة تقبل بأبناء الطلقاء حكاماً لهم مشيرا إلى ذلك بقوله: "أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي، والله لئن آخذ من معاوية عهدا احقن به دمي وأمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلما، والله لئن أسالم وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن علي فيكون سبة على بني هاشم آخر الدهر ولمعاوية ولا يزال يمن عليَ بها وعقبه على الحي منا والميت"[٣٧]، ولو تم ذلك لكان هذا رداً من معاوية على قول الأمير عليه السلام: "ولا المهاجر كالطليق"[٣٨]، فيصير بذلك معاوية الطليق أبن الطليق ندا للحسن عليه السلام ابن رسول الله بعد أن فشل في أن يكون ندا للإمام علي عليه السلام.

المبحث الثاني

١ـ مكاتبات الإمام علي عليه السلام لمعاوية ومواجهة الحسن له:

إن الظروف والمواقف التي مر بها كل من الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن متشابهة ومختلفة. متشابهة من ناحية عدم نضج الأمة في تلقي علم الإمامين وفي عدم فهم مواقفهما عليهما السلام. فنجد الإمام علي عليه السلام يعتب على الأمة لتخاذلها عنه فيقول بألم: "فيا عجبا، عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم"[٣٩]. مع انه ملتفت إلى حقيقة العلة عندهم إذ إنهم يريدون الدنيا ولكن بلباس الآخرة فيقول عليه السلام: "إني لأعلم ما يصلحكم ولكن لا أصلحكم بفساد نفسي"[٤٠]، فيشير هنا إلى انه قادر على أن يجعلهم يسيرون على نهجه ولكن ذلك لن يتم إلا بعد أن يعطي الدنية في دينه وهو ما لا ولن يفعله. وبهذا يشير عليه السلام إلى حقيقة السياسة التي يتبعها معاوية، وينبه عليه السلام الناس إليها: "والله ما معاوية أدهى مني ولكنه يغدر ويفجر"[٤١]، وهو يُعلِم الناس

إن الدهاء الذي يتباهى به معاوية ومن على شاكلته من المستحيل أن يتصف به هو عليه السلام ناهيك عما هو أعظم من دهاء معاوية لان المانع لذلك هو تقوى الله "هيهات لولا التقى لكنت أدهى العرب"(٤٢)، وهو مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: "المؤمن قيد الفتك"(٤٣). لذا نجده عليه السلام يقول في موضع آخر: "قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله"(٤٤). وهي شهادة من احد اصحاب الكساء لنفسه بالدهاء وسعة الحيلة اخذها من نبي الله يوسف عليه السلام حين زكى نفسه للفرعون: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥). والإمام الحسن عليه السلام أيضا يبين انه لو أراد الملك لحازه ولما دان احد لمعاوية أو استطاع تملك شيء ولكنه أراد مراد لله وعمل وفقهُ حقنا للدماء "فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا اعمل، ولسلطانها اركض وانصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأسا، ولا اشد شكيمة ولا امضى عزيمة، ولكني ارى غير ما رأيتم وما اردت بما فعلت الا حقن الدماء فارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمره والزموا بيوتكم وامسكوا"(٤٥).

فالأمة في زمن الإمامين عليهما السلام لم تستوعب وتفهم حقيقة موقفهما لذا كل أدلى بدلوه فنجد قائلا يقول للإمام علي عليه السلام لو وليت معاوية إمارة الشام حتى تستقيم أمور البلاد. هذا شأن الأمة في زمن الإمام علي عليه السلام مع أن أكثر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا في صفه، وهم ممن أخذوا الدين من العين الصافية لصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام وقام بترسيخها أمير المؤمنين عليه السلام بعلمه وورعه وتقواه، كأمثال سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار بن ياسر ممن اسماهم رسول الله صلى الله عليه وآله أركان الدين. وهو بعد ذلك خليفة المسلمين مع الالتفات إلى أن المخاصم للإمام علي عليه السلام والمنابذ له (اعني معاوية) ما هو إلا فرد من عامة الناس. أما في زمن الإمام الحسن عليه السلام فالأمور اختلفت إلى درجة كبيرة. فبات الخطاب للإمام الحسن عليه السلام متسم بالجسارة والنقد لا الاقتراح كما كان في عهد أبيه عليه السلام. إذ إن أغلب الصحابة إما قتلوا وإما نفوا أو وضعوا في غياهب السجون أو طوردوا في البلدان، فمن كان حول الإمام الحسن عليه السلام هم من التابعين وممن صحب الإمام

علي عليه السلام، وهي نقطة جد خطيرة تبين مدى تجرأ معاوية واغتراره للنيل من الإمام الحسن عليه السلام فليس هو حاكم كأبيه، ولا له أصحاب كأصحاب أبيه ممن التقى أو سمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله بشأن أهل البيت، أما باقي الناس من محبي أهل البيت أو ممن يعرف قدرهم فقد اتخذت فيهم تدابير صارمة إذ أمر معاوية أحد ولاته "فاقتلْ مَن لقيتَهُ ممّن ليسَ هو على مثلِ رأيك، وأخْرِبْ كلَّ ما مررتَ به مِنَ القُرى، وأحْرِب الأموالَ، فإنّ حَربَ الأموال شبيهٌ بالقتلِ وهو أوجع للقلب"(٤٦)، فلاختلاف سمات الزمنين كان الاختلاف في لغة الخطاب ولهجته واضحا من قبل الإمامين عليهما السلام ضد معاوية. فكانت طبيعة خطاب أمير المؤمنين تتسم بالنصح والإفهام - إفهام الأمة - "فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي"(٤٧). وخصوصا إذا علمنا أن أصحاب الإمام علي عليه السلام من المهاجرين والانصار هم من كانوا يغلظون القول لكل مناوئ للإمام علي عليه السلام. في حين كان الإمام الحسن عليه السلام هو من يتصدى بنفسه لكل من ناوى أهل البيت.

غير ان تأسيس الجدال والمحاججة التي التزم نهجها الإمام الحسن عليه السلام كانت من قبل الإمام علي عليه السلام ونجد ذلك جليا في قوله عليه السلام لمعاوية: "ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمة بغير سابقة ولا شرف باسق"(٤٨). فيجرد معاوية بالذي يتفاخر به من تولي أمر الحكم في الشام واستقامة الأمر إليه هناك. فالذي يحكم الرعية باسم الإسلام عليه أن يكون مسلما أولاً "واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين"(٤٩)، وأن يكون ممن قاتل من اجل الإسلام وتثبيت أركانه ثانياً. وبهذه القيود يكون حكم معاوية بعيد كل البعد عن دائرة الإسلام "فو الذي فتق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه"(٥٠). فالإمام علي عليه السلام أشار إشارات مضمنة إلى كيفية تعامل الحسن عليه السلام مع معاوية من خلال لغة خطابه عليه السلام له. فنجد الحسن عليه السلام قد ابلغ في تلك اللغة وأقام بنائها فلم يكن يخاطب معاوية إلا بقوله: " يا ازرق". ولم يكن يرد على بطانته الا بعد ان يذكر مثالبهم ويفضح ما ستروا من عيوبهم.

ومثلما أخرج الإمام علي عليه السلام معاوية من دائرة تفاخره بالتسلط على رقاب المسلمين نهج الحسن ذلك المنهج وأسبغ صفة الملك على حكومة معاوية مخرجا إياه حتى من دائرة من تولى الخلافة قبل أمير المؤمنين عليه السلام "أما الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل بطاعة الله، وليس الخليفة من سار بالجور، وعطل السنن، واتخذ الدنيا أماً وأباً، وعباد الله خولا، وماله دولا، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكاً فتمتع به قليلا، وكان قد انقطع عنه، فأتخم لذته وبقيت عليه تبعته"[٥١]، وهو إشارة إلى حقيقة من يوجه دفة الحكم عنه في بلاد الشام من الروم.

هذا الامتداد بين لغة وخطاب الإمامين عليهما السلام تعدى أمر استلاب الخلافة التفاتاً منهما إلى أن الجهاز الحاكم على طول الفترة ما بين تولي الأول الخلافة والى سيطرة معاوية على الكوفة ومكة ليشمل توجيه الأنظار إلى أن هناك جبهتين كما كانت في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فالمدينة ومكة، والعراق والشام. فالإمام علي عليه السلام ينزه جبهته وأهل العراق عن استوائهم مع جبهة معاوية وأهل الشام لاختلاف اعتقادهم بالحق "وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشك مني على اليقين. وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة"[٥٢]، إذ يقسم أمير المؤمنين عليه السلام المعسكرين إلى حق وباطل، ودنيا وآخرة فكما أبان الفرق بين المصرين أبانه بين المعسكرين، فجعل الباطل والدنيا نصيب معاوية وأهل الشام، والحق والآخرة نصيبه هو ونصيب أهل العراق. حق وباطل ولكل أهل.

والتركة العسكرية والجماهيرية التي خلفها الإمام علي عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام لم تكن بنفس درجة النضج الذي كانت عليه في أيام الإمام علي عليه السلام لتوازي دهاء معاوية ومكره وكيده بهم فظهر التضعضع العقدي في جيش الإمام الحسن عليه السلام بشأن جدوى محاربة جيش الشام، لذا مال البعض إلى الاستسلام والتخاذل، فأضحى الإمام وحيداً من الجنبة العسكرية المناصرة له على أن بوادر تلك الضعة كانت قد ظهرت في أيام أبيه ولكن بشكل متذبذب وضعيف وهو ما نلمحه في كثرة أقوال

وخطب أمير المؤمنين الحاثة على القتال. وكي يتناسب خطاب الإمام الحسن مع هذا الوضع الجديد نجده عندما يصعد المنبر وفي المجلس رؤساء من أهل الشام يكثر من الانتساب ومن بيان فضل من ينتسب إليهم لا للفخر فحسب وإنما لأنه يعلم انه في زمن قد أعمي على أهله الأنباء وقد أبهرت أبصارهم بملك يعرض الدنيا بأبهى حلتها. فيقول: "انا الحسن بن علي بن ابي طالب بن عم النبي، أول المسلمين إسلاماً، وأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدي محمد بن عبد المطلب نبي الرحمة. أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا من بعث رحمة للعالمين"(٥٣).

لكن عندما يتجرأ معاوية ويحاول التفاخر بالأنساب والأحساب نجد كل من الإمامين يجيب بنفس لغة الخطاب. فيرد الإمام علي عليه السلام على فخر معاوية بكونه من عبد مناف بقوله: "وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن. ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب. ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمُدغل"(٥٤).

ويتلقى الرد ذاته من الإمام الحسن عليه السلام عندما قام معاوية خطيبا في المدينة قائلاً بعد ان سب الامام علي عليه السلام: أين علي بن أبي طالب؟ إذ قام الحسن عليه السلام فخطب وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إنه لم يبعث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته، ولم يكن نبي إلا وله عدو من المجرمين، وإن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله من بعده، وأنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدك حرب، وجدي رسول الله، وأمك هند، وأمي فاطمة، وجدتي خديجة، وجدتك نثيلة"(٥٥). غير أن الفرق بين الردين إن الإمام علي عليه السلام عمم القول في الانتساب أما الإمام الحسن عليه السلام فابلغ في الخوض إلى خصوصيات الانتساب.

فهذا الفن في الرد يتسم بالرقي الذي لم يستطع أحد ممن ناوى علياً عليه السلام أن يرقى إليه. ففي الوقت الذي كانوا يسبونه على المنابر ويعيرون أولاده بأنهم أبناء فاطمة التي ألبستهم ثوب عار كشفِ دارها إلى الأبد كان أمير المؤمنين عليه السلام يتوجه

إلى عدوه بالنصيحة ويحذره كيد الشيطان "فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً، ولا على نفسك سبيلا"(٥٦). وما ذلك إلا لكونهم عليهم السلام صنائع الله "فأنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا"(٥٧). فهم صنائع الله أي عبيد الله والناس بعد عبيد لهم. وإنما صار الناس لهم عبيدا بعبوديتهم عليهم السلام لله وبسابقتهم في الإسلام. فخطاب الإمام علي عليه السلام لمعاوية خطاب المصلح والمعلم. المصلح لهؤلاء القوم المفسدين، والمعلم لأصحابه كيفية التعامل مع المعارضين. وهو سلام الله عليه قد سد على معاوية كل الأبواب حتى باب الحديث عن فضائل الشيخين في محاولة لتوسيع دائرة الصراع فرده الامام إلى حقيقة انه يطلب الخلافة وهو ليس لها بأهل فقال: "وزعمت إن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله، وان نقص لم تلحقك ثلمُه. وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم"(٥٨). كما فعل ابنه الحسن في سده باب التبجح بالظفر بالصلح "وإنا أعطينا صفقتنا هذه الطاغية - وأشار بيده إلى أعلى المنبر إلى معاوية، وهو مقام رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر - ورأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين - وأشار بيده إلى معاوية-"(٥٩). وما نلمحه هنا ان معاوية كان ينابذ ويقارع الإمام علي عليه السلام بالخلفاء من قبله وخصوصا الثالث منهم، أما مع الحسن عليه السلام فجعل من نفسه ندا للحسن فيقارع وينابذ الحسن بنفسه لذا رد الحسن عليه السلام ان ما أخذه منه هو (صفقة) وليست خلافة، وما كان لينالها لولا تجبره وميله لسفك الدماء.

ومثلما خدر معاوية وعي الأمة حتى صارت تقبل بمنازعة معاوية الخلافة للإمام الحسن عليه السلام، نجد أمير المؤمنين عليه السلام كان قد اتخذ التدابير اللازمة لاستفزاز وعي الأمة وإلقاء الحجة عليهم بان قال: "فالعجب من معاوية بن أبي سفيان ينازعني الخلافة، ويجحد لي الإمامة، ويزعم أنه أحق بها مني، جرأة منه على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله، بغير حق فيها ولا حجة، ولم يبايعه المهاجرون ولا سلم له

الأنصار والمسلمون"[٦٠]، لذا يرد الإمام الحسن عليه السلام على من أنكر عليه مصالحة معاوية: "إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً وكذب معاوية، أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله، فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني، لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما طمعتم فيها معاوية"[٦١]، بان ما اضطره إلى المصالحة إغفال الأمة لما أسسه علي عليه السلام فيهم فالذي تجرأ وخرج على إمام زمانه وحاربه فمن باب أولى قتل خليفته حتى من دون تكبد عناء الحرب. فالملوم على تولي أمور المسلمين من هو ليس بأهل لها الأمة نفسها وهو ما يبينه الحسن عليه السلام: "إن الناس قد اجتمعوا على أمور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها، ولا تنازع ولا فرقة، على: شهادة أن لا اله إلا الله، وان محمدا رسول الله وعبده، والصلوات الخمس، والزكاة المفروضة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، ثم أشياء كثيرة من طاعة الله لا تحصى ولا يعدها إلا الله، واجتمعوا على تحريم الزنا، والسرقة والكذب، والقطيعة، والخيانة، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا تحصى ولا يعدها إلا الله، واختلفوا في سنن واقتتلوا فيها وصاروا فرقا يلعن بعضهم بعضا، وهي الولاية"[٦٢].

فالحسن عليه السلام ورث من أبيه صفاته وشمائله وكذلك ورث منه الابتلاء بمعاوية وكل الإرهاصات التي رافقته لذا قال الإمام علي عليه السلام للحسن عليه السلام: "ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي".

٢ـ الحسن بن علي عليه السلام عالم ضاع بين جهّال:

عُرف الإمام الحسن عليه السلام بالهيبة، فحين جاءت الزهراء عليها السلام بالحسنين لرسول الله وقالت له: ورثهما، قال صلى الله عليه وآله: "للحسن كرمي وهيبتي"[٦٣]، فورث الحسن تلك الهيبة من جده رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الهيبة التي ألجمت معاوية فصرح قائلاً: "والله ما رأيته قط إلا كرهت جنابه وهبت عتابه"[٦٤]. ومع هيبته تلك كان متواضعا اشد التواضع إذ كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما مر من خلق الله إجلالا له، فإذا علم عليه السلام قام ودخل بيته فمر الناس"[٦٥]. لذا نجد

بعضهم حاول إظهار هذه الهيبة على أنها عظمة عندما قال له أحدهم إن فيك عظمة فيرد الحسن عليه السلام على هذا الادعاء بقوله: "بل فيّ عزة قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦٦]. كما وإن نقش خاتمه هو "العزة لله"[٦٧]. وهذه الهيبة التي ورثها من جده صلى الله عليه وآله إنما تركزت في نفوس الناس لخصلتين للإمام عليه السلام هما كرمه، وتواضعه لله. ويمكن تلمس ذلك في رده لمن قال له: لأي شيء نراك لا ترد سائلا وان كنت على فاقة، فقال عليه السلام: "إني لله سائل وفيه راغب وأنا استحي أن أكون سائلا وارد سائل وان الله عودني عادة أن يفيض نعمه علي. وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة"[٦٨] وانشد قائلاً:

إذا ما أتاني سائلا قلت مرحباً ... بمن فضله فرضٌ علي مُعَجَلِ

ففي كرمه التواضع وفي تواضعه الكرم، فعن الصادق عليه السلام مخبرا عن الحسن عليه السلام: "إن الحسن عليه السلام حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان النجائب لتقاد معه. وقاسم ربه ثلاث مرات حتى كان ليعطي النعل ويمسك الخف"[٦٩]. وكذلك ما ورد في المناقب ذكر أن رجلاً أتاه في حاجة فقال عليه السلام: "اذهب فأكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا نقضها لك، قال عليه السلام: فرفع إليه حاجته فأضعفها له، فقال بعض جلسائه ما أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله، قال عليه السلام: بركتها علينا اعظم حين جعلنا للمعروف أهلا، أما علمت أن المعروف ما كان ابتداء من غير مسالة؟ فأما من أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من ماء وجهه"[٧٠]. وهو هنا يذكرنا بأمير المؤمنين عليه السلام الذي صنع بيتا سماه (بيت القصص) كان الناس يلقون فيه رقاعهم. لأن الحسن عليه السلام كان يقول عن منهاجه في الأمة: "مضى محمد على منهاج وعلي على منهاج وأنا أخالفهما لا يكون ذلك مني لا والله ما أخالفهما بل اقتدي بهما واقتفي أثرهما"[٧١]. فشابه الحسن عليه السلام أباه حتى في تواضعه وكرمه فكيف بالمنهج الذي بعث به النبي صلى الله عليه وآله وهو خليفته من بعد أبيه عليه السلام. فالكرم والتواضع اوجب الهيبة له حتى ممن كان في طبعه الكبر والغطرسة "ولقد رأيته في طريق مكة ماشيا فما من خلق الله احد رآه إلا نزل

ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي"[٧٢].

وراثة من علي عليه السلام أوجبت أن يقول له أبو الحسن عليه السلام: "ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي"، ووراثة من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أوجبت شباهته للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله فيقول: "يا حسن أنت أشبهت خلقي وخلقي"[٧٣].

وبين الوراثة والشباهة للمصطفى والمرتضى "انا ابن محمد المصطفى وابن وصيه" ولكونه خليفة الله على الخلق وامتداد رسالة جده ووصاية أبيه كان الحسن يقف لمعاوية وجها لوجه ويخبره بحقيقته والأمة حاضرة تشهد. كما كان أبيه عليه السلام يقف أمام الثلاثة كل في خلافته أو بمجموعهم ليخبرهم بحقيقتهم من دون تحفظ أو مداراة لأنه كان ينطق عن دين الله وبدين الله ولأجل دين الله، وإن صالح الحسن لكنه لم يبايع إذ جل ما أعطاه صفقة ملك "وأما قولك في شأن الإمارة وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه... وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر"[٧٤] من هنا نعلم علة اشتراطه على معاوية في كتاب الصلح بشروط هي: أن لا يسميه بإمرة المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة وألا يتعرض لأحد من شيعة علي بسوء ويوصل إلى كل ذي حق حقه وان يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم والشرط الأخر ألا يسب أمير المؤمنين على المنابر وفي قنوت الصلوات. فالإمام الحسن عليه السلام قد جرد معاوية حتى من اللقب الذي استعمله الخلفاء الثلاث قبل الإمام علي عليه السلام باعتبار أنهم حاولوا تعميم هذا اللقب وجعله لقب لكل من يعتلي عرش الخلافة بالشورى أو الوراثة أو الغصب، وبالتالي فهو لقب حكومي وضعي ولا مدخلية للشرع الإلهي فيه، وبشرط الحسن عليه السلام هذا أثبت أمرين أولهما إن محاولتهم تجريد هذا اللقب من القدسية الإلهية أمر مستبعد جدا عن معاوية وغيره. وثانيهما أن هذا اللقب من مختصات الإمام علي عليه السلام وحسب لذلك كان الامام الصادق لا يسمي عليا الا أمير المؤمنين.

وبتجريد معاوية من مخاطبته بإمرة المؤمنين لا يكون حاكما على الحسن عليه السلام، وهو هنا يشابه مبايعة سلمان المحمدي للخليفة الأول بعد رفضه مبايعة الأول

باليمين لأنه بايع بها أبا الحسن عليه السلام وإنما بايعهم بالشمال. وبما انه لا حكم لمعاوية على الإمام الحسن نجده اشترط أن يكون الأمر بعده له عليه السلام وإلا فلأخيه الحسين عليه السلام وبذلك حاز الشرعية السياسة إضافة إلى الشرعية الإلهية، ومهد بذلك للحسين كما مهد علي عليه السلام له. لذا أعلن معاوية وبكل وقاحة المستبد نقضه للصلح. وما ذلك ببعيد عن أخلاق معاوية وديدنه في صد ومقابلة حكم الله وحكم رسوله. فينقل التاريخ أن أم المؤمنين عائشة التقت بمعاوية بعد قتله لحجر بن عدي فسألته عما فعل بحجر فقال لها: "لئن يكون خالك أمير المؤمنين خير لك من أن تكوني امرأة من عرض الناس" وهو تهديد مبطن أن يهمشها، فلا تبقى لها قيمة كأم للمؤمنين، وبذلك يمسح من ذاكرة الأمة حرمتها وهي منقبة من الله في القرآن لأنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله "وزوجاته أمهاتكم"، فلا يحق لها أن تتزوج بعد رسول الله. ومعاوية هنا يضع نفسه في قبالة القرآن تارة وفي قبالة أمير المؤمنين تارة أخرى الذي جعل رسول الله طلاق نساءه بيده بعد موته. فكان الإمام علي عليه السلام وحده القادر على جعلها امرأة من عرض الناس ويسلبها فخر كونها من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، ولعلمها بأخلاق أمير المؤمنين وأخلاق معاوية خرجت على أمير المؤمنين وسكتت حين هددها معاوية.

وها هو معاوية يخطب بالناس بعد أن تم الصلح قائلا: "أيها الناس إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وانتم كارهون ألا واني منيت الحسن عليه السلام وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها"[٧٥]. هنا بالذات تسقط الحجج ويتبين من له الحق السياسي بالحكومة إذ انه بمجرد نقضه لبنود الصلح تسقط حجيته السياسية في تولي أمر السلطة، وبالتالي تبقى الشرعية السياسية مع الإمام الحسن عليه السلام إضافة إلى الشرعية الإلهية، وما أشبه الصلح بمكيدة رفع المصاحف في صفين، وإجازة التحكيم بخلع الإمام علي عليه السلام إذ اعتبروا أنهم بذلك سلبوا الشرعية عنه وعن أولاده عليه السلام. وهو أمر بعيد عن الصحة بدليل

إن الإمام علي عليه السلام توفي وهو يُعد جيشا لمحاربة معاوية باعتباره خارج عن طاعة الولي الشرعي. وكذلك الأمر مع الإمام الحسن عليه السلام. فعلى الرغم من تولي معاوية زمام الحكم في الكوفة والتي قهرها تحت سنابك الخيل وبطش أعوانه، وكذلك في غير الكوفة، ثم قيامه بعد ذلك بتنصيب ابنه يزيد ولياً للعهد آخذاً له البيعة قسراً، ومع ذلك نجد الإمام الحسن عليه السلام مستمراً في مباشرة أمور المسلمين الشرعية، وفي بنائه للقاعدة الشعبية الواعية لتنصر الحسين عليه السلام إذا ما خرج.

ومع هذا فلقد صنع معاوية لنفسه شرعية مصطنعة بإزاء شرعية الإمام الحسن عليه السلام، فانقسم الناس إلى جبهتين: جبهة الموالين لأهل البيت ممن يعرفون شرعية الإمام الحسن وجبهة توالي معاوية. كما كان الأمر في زمن الإمام علي عليه السلام فهناك أهل العراق وفي قبالهم أهل الشام وأهل العراق هم على الحق لكونهم مع الأمير عليه السلام الذي يدور معه الحق حيث دار. فهو يرد على معاوية لقوله: "إن الحرب قد أكلت العرب إلا حُشاشات أنفس بقيت." بقوله: "ألا ومن أكله الحق فإلي الجنة ومن أكله الباطل فإلى النار"(٧٦). هاتين الجبهتين نجد ملامحهما قد ترجمت عمليا في شعر النقائض كرسالة توصل للأمة حقيقة التناقض في الصلح المشروط الذي قبل به الحسن وفي فعل معاوية من تمزيقه لوثيقة الصلح وجعلها تحت قدميه. فلا حكم لمعاوية إلا ببنود الصلح وبما إنها تحت قدميه وهو لن يفي بها فلا حكم له، إذ إن حكمه هو من أصبح تحت الأقدام، لذا اعمل السيف في شيعة علي والحسن عليه السلام فتغير الحكم من حكم مُصالحة إلى حكم استعماري.

لذلك نجد انه حينما رد الإمام الحسن عليه السلام على سب معاوية لأمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وختم رده بلعنه امنت طوائف من أهل الكوفة على ذلك اللعن: "أيها الذاكر عليا، أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر وأمي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله وجدك حرب وجدتي خديجة وجدتك قتيلة فلعن الله أخملنا ذكرا وألأمنا حسبا وشرفا وأقدمنا كفرا ونفاقا. فقال طوائف من أهل المسجد آمين آمين"(٧٧). إن في هذه الملاعنة صدى من يوم المباهلة: ﴿فَمَنْ

حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران:٦١). لقد نأى نصارى نجران بأنفسهم عن ملاعنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته لكن معاوية لم يفعل. وبقي هذا اللعن يطارده ويؤمن عليه كل من ينقل الحديث من الموالين والمنصفين. وها نحن نقول معهم: آمين.

فهم من (جهة الإمام الحسن عليه السلام) قد فهموا نوع السلطة التي سقطت بيد معاوية فلا شرعية لها إلا الشرعية الاستعمارية، والتي هي في نظر أهل البلد المُستَعمر سلطة لا مصير لها إلا الزوال والاندحار. من هنا نعلم سبب إغلاظ القول بتلك اللهجة الشديدة من قبل الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية وأعوانه وهو ما لم نجده عند الإمام علي عليه السلام إذ كان قوله اخف حدة وليس اخف شدة فيكني في القول ولا يذكر القوم بأسمائهم وإنما يعجب من الدهر فيقول: "فيا عجبا للدهر إذ يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له سابقة كسابقتي"(٧٨). كما يشير عليه السلام إلى السبب الاساسي في هذا التفاوت بقوله: "لم تكن بيعتكم اياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحدا"(٧٩).

أما الإمام الحسن عليه السلام فقد كان يقول لمعاوية صراحة دون تكنية: "وحاشا لله أن أقول أنا خير منك فلا خير فيك، ولكن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل"(٨٠).

فخطاب الإمام علي عليه السلام الأمة كان أنفة منه من توجيه الخطاب لمعاوية فقال: "اين احراركم وسمحاؤكم واين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم. اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة. وهل خلفتم الا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم"(٨١). فهو هنا ينأى بنفسه عن ذمهم استصغارا لشأنهم. ويخاطبهم بصيغة الجمع ليبين ان ما يراه منهم حالة عامة في طريقها إلى تغيير وجه الدين بتغيير حملته واستبدالهم بمدعي

الإسلام. وللحسن عليه السلام موقف مماثل بين فيه جور القوم دون أن يرد عليهم. فنراه يرد على عتاب الإمام الحسين عليه السلام عندما نال مروان بن الحكم من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكان هو جالس في ذلك المجلس: "تسمع هذا يسب أباك ولا تقول له شيئا؟ فقال: وما عسيت ان اقول لرجل مسلط يقول ما يشاء ويفعل ما يشاء".❖ وهذا الرد يذكرنا بقول زينب عليها السلام لابن زياد: "أنت أمير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك"❖❖.

فالإمام الحسن عليه السلام يوجه كلامه إلى معاوية مباشرة وليس إلى الأمة لأنه إذا كان الحاكم بهذه المثابة فما بالك بالأمة. فنجده عليه السلام يعدد له في مناسبة مساويه ويختم: "فهذا لك يا معاوية خاصة وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل"(٨٢). وما توجيه الخطاب من قبل أمير المؤمنين عليه السلام للناس: "أيتها النفوس المختلفة والنفوس المشتتة. الشاهدة أبدانهم والغائبة عنهم عقولهم... هيهات أن اطلع بكم سرار العدل، أو اقيم اعوجاج الحق"(٨٣) الا لأنه ما يزال فيهم بقية وعي وقد يثوبون إليها إن ذكرهم الامام ذلك. لذا يذكر سببين لضلال الأمة وهما الابتعاد عن الكسب الحلال والتدين بدين الحق، فينادي "أين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم". فاذا افتقدت الامة هذين العمودين: "ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر"(٨٤). فأمة كهذه ترى المنكر فلا تنكره وتعرف الحق ولا تأمر به أمة ملعونة. والأدهى قوله: "لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به"(٨٥). فصار للأمة وجهان وجه يملك شكل الدين ووجه حقيقته بعيدة عن الدين. وهما من أوصل الأمة أن تكون قلوبهم مع الحسين وسيوفهم عليه. فهذه امة اعتادت النفاق والازدواجية في الحياة.

هؤلاء الناس هم الذين كانوا زمن الإمام الحسن عليه السلام إلا أنهم كشفوا عن حقيقتهم بان كفوا عن مصانعة الحاكم الذي يدعوهم إلى الحق وهم يريدون الباطل. وحيث صار الحاكم - اعني معاوية - إلى جانب الباطل فلا معنى

للمصانعة. فكأن الرعية في زمن الأمير عليه السلام كانت تقف على الحياد. قلبها مع أمير المؤمنين وسيوفها لا تشهر معه إلا بعد تقريع وحث. أما زمن الحسن عليه السلام فقد صارت الرعية والحاكم جبهة واحدة في حربهم لأهل البيت فما عاد هناك مكان للتزييف أو الخداع لذلك وجه عليه السلام كلامه لمعاوية وليس إلى الرعية باعتبار أنه الحاكم والقائد لهذه الأمة التي صارت تنفر من الحق "نفور المعزى من وعوعة الأسد"(٨٦). غير أن لهجة الإمام الحسن عليه السلام في الرد على بطانة معاوية كانت أشد باعتبارهم الجهة التنفيذية لتشريعات معاوية فالرد عليهم هو في حقيقته الرد على معاوية كما إن فعلهم وقولهم ما هو في حقيقته إلا فعل وقول معاوية لا غيره، فنجده عليه السلام يحضر مجلس عقده معاوية للنيل منه عليه السلام وقد جمع له معاوية كل من مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة فيرد الإمام الحسن عليه السلام على كل واحد منهم ذاكرا عيوبه ومثالبه أو آنفا من الرد على بعضهم كالمغيرة بن شعبة فقد قال له "اعور ثقيف ما أنت من قريش فأفاخرك"(٨٧)، فهو يأنف ان يرد عليه ويعتبر ذلك مما يذهب مرؤته. وبهذا يكون قد رد عليه دون ان يتكلم. اما بقيتهم فبعد أن استمع لهم واكملوا تكلم هو عليه السلام فقال: "الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا وآخركم بآخرنا، وصلى على جدي محمد النبي واله وسلم"(٨٨). فثبّت حقيقة انه حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وحقيقة أن معاوية وبطانته كانوا تبعا لآل رسول الله لأنهم الهداة للأمة. وتبعيتهم له جاءت من تمسكهم بدين الله. وهو صدى لقول الإمام علي: "نحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايع لنا". ثم قال: "اسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم وبك ابدأ يا معاوية، إنه لعمر الله يا ازرق ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني، ولا سبني غيرك وما هؤلاء سبوني، ولكن شتمتني وسببتني، فحشا منك وسوء رأى، وبغيا وعدوانا، وحسدا علينا وعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله قديماً وحديثاً"(٨٩)، فاثبت أسباب كره معاوية لمحمد وأهل بيته عليه السلام وكلها تصب في مصب واحد، أن معاوية ما اسلم ولا من معه وإنما "استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه"(٩٠). اذن فما رد الحسن عليه السلام على معاوية

أو بطانته إلا لكونهم جبهة واحدة تمثل الحاكم الجائر من جهة. ومن جهة أخرى فهو يبغي غاية ابعد من ذلك وهي تعليم الأمة بكشفه حقيقة حاكمهم الجائر وأعوانه المتملقين الظالمين.

إذن كان الإمام الحسن عليه السلام دائم التعليم والإيضاح للأمة لكن نجد الأغلبية منهم كانت تداهن وتصانع معاوية إما خوفا أو طمعاً لذا كان عليه السلام يقول لمن سبه وشتمه في مجلس معاوية: "ولو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مجاورين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحولنا المهاجرين والأنصار ما قدروا أن يتكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به"(٩١). لان مقياس المهاجرين والأنصار السابقة في الإسلام وهؤلاء لا سابقة لهم فلا قيمة لما يقولون.

قد يرد سؤال مفاده إن كان هذا حال الأمة فما الذي دعا الإمامان إلى التصدي لقيادتها وتبني سلطة الحاكم علما ان خلفاء الجور كانوا يعيبون عليهم سعيهم للخلافة؟

وردا على هكذا سؤال يكون في قول أمير المؤمنين عليه السلام: "اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك. فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك"(٩٢). فيذكر أمير المؤمنين عليه السلام حال البلاد والعباد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله. فالدين فقد معالمه والفساد استشرى في البلاد وافزع المظلومون وعطلت الحدود وبهذه الطريقة بين أن الأمة ليست كلها معاوية ومن سار على نهجه أو من اتبعه طمعا في دنياه. انما في الامة مظلومون ومستضعفون ان سكت عليه السلام فسيقتلون ويشردون. وهو ما حصل فعلا. لذا نجده عليه السلام قبل بالتحكيم كما قبل الإمام الحسن بالصلح وكما خرج الحسين بالسيف بعد أن وجد عليه السلام انه لا مناص منه. خصوصا وانه توفر له الأنصار وان كان عددهم محدودا إلا أنهم كانوا كافين لتحقيق الانقلاب على الرضوخ

والاستسلام والذي تجلى بعد الحسين عليه السلام بعدد من الثورات قام بها محبين لأهل البيت كثورة التوابين وغيرها.

٣ـ دور الأصحاب في قيادة الأمة:

ويقودنا هذا إلى دور الأصحاب والبطانة في قيادة الأمة، فقد كان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأولهم الحسنان وهم أبعد من أن يشتريهم معاوية بماله أو يخدعهم أعوانه بخدعهم. ومع هذا نجد معاوية يبعث عبيد الله بن عمر إلى الإمام الحسن عليه السلام وقد كان هو وأخوه وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل على ميمنة جيش أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين. يمنيه الخلافة حتى يترك أباه قائلا له: "إن أباك وتر قريشا أولا وأخرا، وقد شنؤوه فهل لك أن تخلفه ونوليك هذا الأمر؟ فأجابه الحسن عليه السلام: كلا والله لا يكون ذلك"(٩٣). ولم يكتف الإمام عليه السلام بهذا الرد بل ابلغ في الرد ليبين عليه السلام دناءة العرض من خلال بيان شخص الرسول الذي بعثه معاوية برسالة الغدر فأردف قائلا: "لكأني انظر إليك مقتولا في يومك أو غدك، اما أن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقا بالخلوق وترى نساء أهل الشام موقفك وسيصرعك الله ويطحك لوجهك قتيلا"(٩٤)، فلما علم معاوية برفضه قال: "انه ابن أبيه". وبما أن الشيطان كان خادعه ومخرجه فهو من حزبه ومن كان من حزب الشيطان فلا مكان له بين حزب الله ولا معنى لعرضه. اما قول معاوية انه ابن ابيه فقد صدق لان الحق يدور مع علي حيث دار فالحسن عليه السلام مع الحق الذي هو مع علي عليه السلام.

لذا كان موقف أمير المؤمنين ممن رفض بيعته موقفا تتجلى فيه آية القدرة، فعندما امتنع عبد الله بن عمر بن الخطاب من بيعة أمير المؤمنين طلب الإمام منه كفيلا بأن لا يشترك مع أحد في عمل ضده، ولما امتنع عن تقديم الكفيل تركه وقال للناس: خلوه فأنا كفيله، ثم التفت إليه وقال: "اذهب فاني ما علمتك الا سيء الخلق صغيرا وكبيرا"(٩٥). ولعل في كلامه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ

الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) اي ان سيء الخلق لا يكون قائدا ويلتف الناس حوله. فكأنه بذلك حسم معارضته بانها معارضة هزيلة لا تستحق عناء الالتفات اليها ودليلها ان احدا لم يكفله فكان هو عليه السلام كفيله. وربما كان هذا هو سبب امتناعه عن الأتيان بكفيل خوف الافتضاح ففضحه الإمام بكفالته إياه.

إن حنكة الحسن عليه السلام السياسية قد أبرزها أبوه عليه السلام حين أرسله مع عمار بن ياسر إلى الكوفة لعزل عامله عليها، ابو موسى الاشعري الذي كانت له مكانته عند اهل الكوفة فكان لا يجاهر بعداوته لأمير المؤمنين وإنما يتخذ خطة الأمين الناصح ليبعد الناس عن الالتحاق بجيش أمير المؤمنين عليه السلام لقتال أصحاب الجمل. فقال لعمار: "يا ابا اليقظان! أعدوت فيمن عدى على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجار؟ فأجابه عمار جوابا قاطعا ليس فيه تفاصيل ينفذ منها إلى المزيد من الاخذ والرد: "لم افعل ولم تسؤني؟" وعرف الامام الحسن غايته فقطع حبل الجدل وقال له: "يا ابا موسى! لم تثبط عنا الناس؟"[٩٦].

فقطع بذلك الطريق على الأشعري بأن نبه السامعين إلى أن ما يفعله ليس نصيحة وانما هو تثبيط الناس عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام. واعتمد الامام طريق اللين معه ليسل من نفسه الشر والعناد فقال: "يا أبا موسى! والله ما اردنا الا الاصلاح، وليس مثل امير المؤمنين يخاف على شيء". ولكن حين اصر الاشعري على موقفه وراح يخذل الناس على مرأى ومسمع من الحسن وعمار قال له معنفا: "اعتزل عملنا ايها الرجل، تنح عن منبرنا لا أم لك"[٩٧]. فصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله كان عندهم العلم والدين وصدق الحديث. كسلمان الذي قال عنه الرسول عليه السلام: "لو كان الدين في الثريا لناله سلمان"[٩٨]، وأبي ذر الذي وصفه الرسول بقوله: "ما أظلت الغبراء ولا أقلت الخضراء من ذي لهجة اصدق من أبي ذر"[٩٩]. وعمار ابن ياسر الذي جعله رسول الله الحد الفاصل بين الجبهة المحقة من الباغية: "تقتلك الفئة الباغية"، فعالم وصادق وفاصل، لذا حين أمرهم أمير المؤمنين عليه السلام بالبيعة

للأول امتثلوا ولم يعترضوا على الأمير عليه السلام، لعلمهم وتصديقهم وتيقنهم من جدوى أمر الإمام. رغم أنهم عرضوا عليه القتال معه حتى يبلغ أمره لكنه فضل أن يسالم: "ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها ظلم إلا علي"(١٠٠).

أما أصحاب الحسن عليه السلام فقد لاموه وعاتبوه بقارص الكلام بسبب صلحه ونادوه بمذل المؤمنين ومسود وجوه المؤمنين. وقد افهمَ الناس حقيقة ما حصل بان قال: "قد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى وقد تركت الأمة عليا عليه السلام وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبوة بعدي"(١٠١). وأضاف "أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة، وأقام الجدار، وقتل الغلام كان ذلك سخطا لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصوابا"(١٠٢).

فبين عليه السلام جانبين في أصل الصلح واحد من جانب معاوية وأصحابه إذ إنهم كانوا كقوم موسى عبدوا العجل ورفضوا الانصياع لهارون، وكأنه يقول إن ما يفعله معاوية معه هو ذات ما فعله الأول مع أبيه عليه السلام، وقد وجد على ذلك أعوانا ففضلوا عبادة العجل على طاعة هارون وربه. وهو ما نجده في حجاج الثاني مع الحسين عليه السلام حين قال له الحسين عليه السلام عن الإمام علي عليه السلام: "انه لهاد وأنا مهتد به، وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله نزل بها جبرائيل من عند الله تعالى لا ينكرها إلا جاحد بالكتاب"(١٠٣). فالحسين هنا يذكر ثلاث مصادر لبيعة أبيه، الرسول وجبرائيل والله، ويجعل الثاني بإزائهم الناس فيقول: "أمرنا الناس فتأمرنا ولو أمروا أباك لأطعنا"(١٠٤)، فكان جواب الحسن عليه السلام والله ما نلت إلا بالطغام"(١٠٥). أما الفئة الثانية فهم المؤمنون وقد جعلهم الحسن بمنزلة النبي موسى عليه السلام الذي رغم علمه ورسالته خفيت عليه الحكمة من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

لقد ربى الإمام علي عليه السلام مناصرين لدين الله من أمثال سلمان والمقداد وأبو ذر فكانوا بحق جهاز رقابة على أداء الجهاز الحاكم في زمانهم فهذا أبو ذر يشدد الخناق على انتهاكات الخليفة الثالث فيرسله للشام تخلصا منه ليعيده معاوية إلى المدينة بعد أن ضاق ذرعا من تعنيفه وتقريعه لما يحدثه في دين الله فما كان من الخليفة إلا ان نفاه للربذة ليموت فيها فيتخلص منه والى الأبد. و قام الإمام الحسن عليه السلام أيضاً بتربية رجالات أمثال هاشم المرقال والمختار ممن كانوا يدعون للثأر للحسين عليه السلام. وكانوا محبين ومناصرين للإمام الحسن ولكن قد خامرت اغلبهم ظنة من الصلح الذي قبل به الإمام الحسن عليه السلام فهذا سالم بن أبي الجعد يقول حدثني رجل منا قال: أتيت الحسن بن علي عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله أذللت رقابنا، وجعلتنا معشر الشيعة، عبيداً، ما بقي معك رجل. قال عليه السلام: ومم ذلك، قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية"[١٠٦]، ولم يكونوا كأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حين أمرهم أأتمروا وأطاعوا وان ابدوا استعدادهم للقتال. لذا نجدهم في دولته كانوا ممن ناصروه وعاضدوه في حروبه. في حين أصحاب الحسن عليه السلام لم يتبينوا حقيقة موقف الحسن عليه السلام لذا كان دائم الإجابة لمن يعاتبه أو يسأله: "والله ما سلمت الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصارا، ولو وجدت أنصارا لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون، ويقولون لنا: إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا"[١٠٧].

فأصحاب الإمام علي عليه السلام الذين كانوا محط ثقته ومصدر نصرته هم انفسهم كانوا صحابة الحسن عليه السلام ممن كان حيا في حياة الحسن، فهذا حجر بن عدي الذي يقول عنه امير المؤمنين عليه السلام: "تمنيت لو أن في جندي مئة مثل حجر"[٩٣]، قد اقض مضجع معاوية ونابذه اشد المنابذة نصرة للحسن وأهل البيت ومحاربة للطاغوت فما كان من معاوية إلا ان قتله، وكما كان حِجر سلاحا نافذا ضد معاوية في حياته كان كذلك بعد موته، فيعيب الناس عليه قتل "راهب أصحاب محمد" ولا يتحرى

جوابا لذلك. لأنه يعلم أن حجرا هذا هو محك لبيان زيفه وبطلان احدوثته كما كان عمار بن ياسر، لذا نراه يقول للإمام الحسين عليه السلام: "يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال عليه السلام: وما صنعت بهم، قال: قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم. فضحك الحسين عليه السلام ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم"(١٠٨).

لقد كان حكم الإمامان علي والحسن عليهما السلام في أحرج فترة في تاريخ الإسلام وكان قبالتهما أدهى العرب. والدهاء بحسب قول الإمام علي عليه السلام يستكمل إذا خلا الإنسان من الورع. غير أن تمهيد ذلك نجده منذ زمن الأول الذي دأب على تغييب ضمير الأمة بالتصدي لأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وغصب ابنته فدكا وضرب الصحابة حتى يبايعوا ثم ضربهم حتى يسكتوا هذا والرسول صلى الله عليه وآله قد كان بالأمس فقط بين ظهرانيهم. لذا كان عمل معاوية أكثر سهولة بعد أن اعتادت الأمة على تغييب أهل البيت وتهميشهم وبعد أن صارت الجرأة عليهم وسفك دمائهم بقيادة الصحابة ترأسهم أم المؤمنين وبعد أن استأثر الثالث فأساء الأثرة وترك أبناء المهاجرين والأنصار يتكففون الناس فصار سهلا على معاوية شراء الضمائر والمواقف، فتنقلب الموازين فيصير أبناء الطلقاء على منبر رسول الله وأبناء رسول الله كما قال دعبل الخزاعي:

مُشردون نفوا من عُقر دارهمُ كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفرُ

فكان قطاف ذلك الزرع قد آن في زمن الإمام الحسن عليه السلام. وكما انتهكت عائشة حرمة الرسول بخروجها على الإمام علي عليه السلام بعد وفاته صلى الله عليه وآله، انتهكت زوجة الحسن عليه السلام، جعدة، حرمة ابن رسول في حياته بأن دست له السم مرات ثلاث فكان حتفه في الثالثة.

٤ـ بين ابن ملجم وجعدة:

قال الإمام علي لأبنه الحسن عليه السلام: "يقتلني عبد الرحمن بن ملجم". فقال له

الامام الحسن عليه السلام: "اذا علمت ذلك فاقتله" قال الامام علي عليه السلام: "لا يجوز القصاص قبل الجناية والجناية لم تحصل منه"[١٠٩] وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا رأى ابن ملجم قال: "رحم الله المرادي"، ويقصد به قول الشاعر:

أريد حياته ويريد موتي شتان ما بين مراده ومرادي

فقيل له اقتله، قال: كيف يقتل المرء قاتله. فقوله عليه السلام هذا يبين أمرين:

الأول: ثقة أصحاب الإمام علي عليه السلام بعلمه أللدني الذي علم به أن ابن ملجم قاتله، وهي ثقة زرعها رسول الله صلى الله عليه وآله، وعززها الأمير عليه السلام بأفعاله.

والثاني: أن العلم بأمر لا يجيز العمل على نفيه ولأنه لا تجوز العقوبة قبل أن يقع الفعل، وهو بذلك يُحمّل الأمة مسؤولية دمه والحفاظ على خطه بعد مماته.

أما الإمام الحسن فمن دست له السم زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس أو قيل بنت محمد بن الأشعث والتي دسته له بتحريض من معاوية على أن يعطيها مالا ويزوجها ابنه يزيد فلما قتلته أعطاها المال لكنه قال: "امرأة لا تصلح للحسن لا تصلح لابني يزيد"[١١٠].

والإمام الحسن عليه السلام نبه وصرح إلى من يقتله كما فعل أبوه من قبل فقد قال الحسن عليه السلام لأهل بيته: "إني أموت بالسم كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له أهل بيته: ومن الذي يسمك: قال جاريتي أو امرأتي. فقالوا له: أخرجها من ملكك عليها لعنة الله، فقال هيهات من إخراجها ومنيتي على يدها مالي منها من محيص ولو أخرجتها ما تقتلني غيرها كان قضاء مقضيا وامرأ واجبا من الله"[١١١]. لذا بعد أن أتمت مهمة الغدر والخيانة قال لها الإمام الحسن عليه السلام: "يا عدوة الله قتلتني قتلك الله أما والله ما تصيبين مني خلفا ولا تنالين من الفاسق عدو الله اللعين خيرا أبدا"[١١٢]. فيبشرها عليه السلام بأنها لا تحقق مرادها ولا تنال ما باعت لأجله دينها ودنياها وان كانت هي من قتلت الحسن فالله قاتلها.

فقول الأمير عليه السلام أريد حياته ويريد موتي مستمد من اخلاقه التي تريد حياة

الدين لجميع الناس لان ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، بينما قتل امير المؤمنين عليه السلام بمثابة قتل البشرية جميعا لأنه أبو البشرية. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أنا وعلي أبوا هذه الأمة"(١١٣) فيبين هنا الإمام عليه السلام تصارع الإرادتين إرادته وإرادة ابن ملجم وما تغلبت إرادة بن ملجم إلا بقضاء الله وهو ما عبر عنه الحسن عليه السلام: "كان قضاء مقضيا وامرأ واجبا من الله".

بقي أمر أخير في هذه الموازنة بين حياة الأمير وابنه الحسن عليهما السلام وهو إن مروان ابن الحكم كان شغوفا ببغلة الإمام الحسن ابن علي عليه السلام فأحتال له بن عتيق وأخذها من الحسن عليه السلام: "ان الكريم إذا خادعته انخدعا" ودفعها لمروان واشترط عليه أن يقضي له مقابلها ثلاثين حاجة. وقيل: هذه البغلة هي التي ركبها مروان يوم وفاة الحسن عليه السلام واقبل إلى عائشة وقال لها: أنت جالسة والحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند جده فأنه إن دفنه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه، قومي وامنعيه. قالت: كيف ألحقه، قال اللعين: اركبي بغلتي هذه فنزل عن البغلة وركبتها إلى آخر القصة"(١١٣).

لقد كان مقدرا لهذه البغلة أن تمشي بالإساءة لأهل البيت لذلك فارقها الحسن عليه السلام ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام:٣٨). ولم يكن لها أن تسيء له عليه السلام إلا بمفارقته لذلك أعطاها لابن عتيق ليعطيها لشر خلق الله مروان ليعطيها إلى المرأة فتركبها وتمنع جنازة الحسن عليه السلام. ومثلما ركبت الجمل وأحدثت فتنة هلك فيها خلق عظيم كذلك فعلت بجنازة الحسن حتى رموها بالسهام فيسل الحسين عليه السلام من الأكفان سبعين نبلا. فرحم الله من قال:

تجملت تبغلت وان عشت تفيلت

وقد كان الجمل الذي ركبته عائشة يوم الجمل شيطانا. فأمر الإمام علي عليه السلام بعقره وانتهت بذلك المعركة لكن يوم البغلة منعَ الحسين عليه السلام من إراقة الدماء بان

قال: "الله الله لا تضيعوا وصية أخي، فإنه اقسم على ألا أخاصم فيه أحدا وان ادفنه في البقيع"[١١٤].

لأن الأمر هنا اختلف والحرب إن وقعت سيبدو أنها وقعت لأسباب شخصية على عكس يوم الجمل. فلو فارق الإمام الحسن جعدة، فمن يدري ما كانت ستلفق من أحاديث عن لسانه كما فعلت شبيهتها من قبلها بمن هو خير من الحسن عليه السلام. ولربما كان الجهاز الحاكم سيعطيها وزنا وكرامة نكاية بالحسن عليه السلام حتى إذا وصلت الأكاذيب إلى زماننا اختلط الحق بالباطل والصالح بالطالح والتبس الأمر على الناس الذين ديدنهم في الحياة إيجاد ما يسيء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. وموقف الإمام الحسن من جعدة يشبه موقف الإمام على عليه السلام من عائشة بعد معركة الجمل حين عفا عنها وأرجعها إلى المدينة مع أخيها محمد وجماعة من النساء.

وما يؤيد استماتة الجهاز الحاكم والمناوئ لأهل البيت في استغلال المرأة المعادية لأهل البيت وجعلها الورقة الرابحة في لعبتهم السياسية سواء فشلت في الوصول إلى غايتها أو لم تفشل كما حدث مع الإمام علي عليه السلام يوم الجمل أو مع الإمام الحسن عليه السلام يوم سمته جعدة، ما نقل من أن معاوية قد لقي عائشة ذات يوم فقال لها: "وددت لو انك مت يوم الجمل. فسألته لماذا. فأجاب: كي اصنع منك شهيدة ويكون اشد الشين على ابن أبي طالب". لكنها لم تمت شهيدة ولم يقتلها الإمام علي عليه السلام وإنما أرجعها بصحبة اخيها محمد وافقدها بذلك المكانة التي كانت لها قبل خروجها لأنها خرجت على إمام زمانها الذي أكرمها إكراما لزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم ترع حرمته.

ومن طريف ما ينقل التاريخ ما رواه ابن معين في تاريخه عن عباد قال: "قلنا لسهيل ابن ذكوان: رأيت عائشة أم المؤمنين؟ قال: نعم. قلنا: صفها؟ قال: كانت سوداء"[١١٥]. فلعل السائل أراد أن يعرف من أحوالها شيئا بعد أن مجدها الجهاز الحاكم فكان رده كأنه فهم من السؤال كيف كان شكلها فأجابه كانت سوداء وهو جواب كاف لغير

العالم بأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. ولعل سهيل أراد القول أنها كانت سوداء بشكلها وأفعالها. بعد أن شاع أنها أجمل زوجات رسول الله وأصغرهن وأحبهن إليه. فان كان الكذب بشأن شكلها قد شاع إلى هذه الدرجة فلا يبعد أن يكون الكذب بشأن مكانتها والأحاديث التي روتها بالدرجة ذاتها من الكذب.

وخير ما نختم به ختام قول كل من الإمامين علي وابنه الحسن عليهما السلام اذ دعوا إلى التزود من علمهما قبل رحيلهما عن دار الدنيا فهذا عمرو بن إسحاق يدخل على الحسن عليه السلام لعيادته بعد أن سقي السم يسمع الإمام عليه السلام يقول له: "يا فلان سلني. قال: "لا والله لا اسألك حتى يعافيك الله ثم نسألك، قال: "سلني قبل ان لا تسألني". وهو عين ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لمن جاء لعيادته عندما ضربه ابن ملجم: "سلوني قبل ان تفقدوني، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم"(١١٦)، غير أن التباين في الموقفين ان الحسن عليه السلام خاطب الفرد أو ما نسميه بالخاصة أما الإمام علي عليه السلام فخاطب المجموع إذ ما زال هناك بقية مؤمنة بمكانته وعلمه الذي استقاه من رسول الله صلى الله عليه وآله. وما زال الامام الحسن عليه السلام ولم يدرك عظمته وعلمه إلا القلة من أصحابه. إذن فشابه الحسن الإمام علي عليه السلام حتى في آخر دعوتهما للتزود من علم الله الذي حبيا به لامتدادهما لرسول الله صلى الله عليه وآله ولرسالة الله وأن كان هذا التشابه وذلك المنهل الواحد لم يحمي الأمة من التقهقر ومن ظاهرة انحسار التسليم لأولياء الله لذا كانت الطف كالصفعة تنبيها للغافلين وإيقاظا للنائمين.

الخاتمة:

عاش أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام في عصرين مختلفين من ناحية الأشخاص الذين كانوا معهما أو ضدهما ومن حيث طبيعة الصراع بين الحق والباطل الذي اختلف باختلاف ظروف هذا الصراع وزمن امامتهما.

حكم الامام علي عليه السلام ومعه الصحابة والقراء ممن شهد وقائعه كلها وسمع عن رسول الله صلى الله عليه وآله الحث على التمسك بنهجه عليه السلام. فكان سهلا على امير المؤمنين عليه السلام ان يدعوهم إلى نفسه فيستجيبوا له. وان كبر عندهم العناد فلم يلتفوا

حوله فيكفي ان يذكرهم احاديث رسول الله فيه ليعتزلوا قتاله كما حدث للزبير في معركة الجمل التي تعد واحدة من الفتن كقطع الليل المظلم شبهت على الامة واخرجت الكثير من الناس من دائرة الايمان وبعضهم حتى من دائرة الإسلام. لكن القوم ورغم خروجهم على امام زمانهم ونكثهم البيعة ابقوا على شيء من التظاهر بالإسلام امام العامة حفاظا على ماء وجوههم بعد ان اهرقوه في حرب اكلت العرب الا حشاشات انفس بقيت.

وفي حرب صفين كان معاوية يدعي سيره بسيرة الشيخين ودفاعه عن الخليفة المقتول ومطالبته بدمه. فنبه امير المؤمنين عليه السلام الامة من خلال خطابه لمعاوية بانه ابعد الناس عن الايمان والإسلام وبذلك يكون ابعد الناس عن معرفة صاحب السابقة بالإسلام والذي هو اولى بالاتباع.

ولم يكتف هؤلاء وعلى رأسهم معاوية بالتظاهر باتباع نهج الإسلام وانما اتخذوا خطة فتح قناة جديدة يوجهون نحوها الامة بعيدا عن أهل البيت ساعدهم في ذلك ان الشام مذ فتحها جند الإسلام ومعاوية الحاكم عليها يدعي قرابته من رسول الله وخروج كل من لا يقول بقوله عن دائرة الإسلام. وكانت اموال الشام كلها تحت يده فبدأ بشراء ضعاف النفوس ممن كان يضع له الاحاديث المكذوبة عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وصار معاوية يدعي الحلم ويبطن البطش، ويدعي الدهاء ويبطن الغدر.

وحين وصل أمر الخلافة للحسن عليه السلام كانت الامة قد اعتادت وجود الشام كقوة في قبالة قوة الخلافة وقد اسس معاوية منذ عهد الخليفة الاول أمر توليه لها وحقه بها. اعلن معاوية الحرب على الامام الحسن عليه السلام وهو يعلم ان اصحابه ليسوا كأصحاب ابيه أو صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله فبدأوا بالتخاذل قبل ان تبدأ المعركة واحكم معاوية الطوق بإغراء البعض بالمناصب التي سيغدقها عليهم ان هو صار الخليفة والبعض الآخر بالمال حتى انه اشترى رؤوساء القبائل وقادة جيش الامام قبل ان تبدأ المعركة مما يدل على انه كان بينه وبينهم سبلا للأخذ والرد تمكن من خلالها شراء موقفهم ووضعهم ضد الحسن عليه السلام حتى اوشكوا

على قتله قبل ان تبدأ المعركة.

كانت ولاية الحسن عليه السلام في هذه المرحلة على قصر مدتها الامتحان الذي محص الناس واظهر حقيقة ما يبطنون. اما صلحه مع معاوية فقد كشف ادعاء معاوية الإسلام واول مظاهر هذا الكشف قوله: قاتلتكم لأتأمر عليكم وان شروط الصلح تحت قدمي. وهي نقطة الانطلاق في عجلة الظلم التي بدأها ضد الامة عامة وأهل البيت وشيعتهم خاصة والتي لم تتوقف حتى يومنا هذا، وبسبب هاتين المسألتين كان خطاب الامام علي عليه السلام لمعاوية في المكاتبات التي كانت بينهما خطاب الناصح الامين يستمد قوته من قوة الامام علي عليه السلام في ذات الله ومن شهادة الامة لنصحه لها مذ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وحتى قبضه الله إلى جواره. وكذلك من خطاب معاوية الذي اتسم باللين وادعاء حقه كولي لدم عثمان اذ لم يكن بإمكانه المطالبة بأكثر من ذلك فاقتصر الكلام بينهما على ذلك وكل يعلم ما يخبيء له الآخر في طويته.

أما في عهد الحسن عليه السلام وبعد الصلح فقد كان معاوية يريد ان يجعله فردا من عامة الناس وهو أمر لم يتم له لأن الامة التي شهرت السيف على الحسن عليه السلام وطعنته في عسكره ماتزال قلوبها معه. فكان معاوية يأتي ببطانته للإساءة إلى الحسن عليه السلام ومن وراءه ابيه وجده والهدف الحقيقي هو الرسالة المحمدية. فكان رد الامام الحسن ردا مفحما قاطعا لا مجال فيه للجدل معتمدا على معرفة الناس بحقيقة أصله واصلهم، والوقائع التي شهدها مع ابيه ونكص عنها هؤلاء، ومودتهم التي اثبتها الله في الكتاب وجعلها اجرا للرسالة في وقت كان معاوية يبذل قصارى جهده في محاربة الإسلام واهل البيت حتى اذا فشل في عزل الحسن عليه السلام عن الأمة أو اسقاطه من نظر الناس عمد إلى ما عمد اليه كل من جاء بعده ومن كان قبله عمد إلى التخلص منه بالسم عن طريق زوجته جعدة.

لقد تباينت ظروف قيادة الامة في زمن أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام من حيث التفاصيل والأشخاص المحيطين بكل واحد منهما ونوع الفتن التي كان على كل واحد منهما مواجهتها والعبور بالأمة إلى شاطئ الأمان لكن ظروفهما

كانت من ناحية أخرى متشابهة من حيث أنها ذات الظروف التي تكشف صراع الحق مع الباطل منذ خلق آدم وحتى قيام القائم (عج).

لقد توسم الإمام الحسن عليه السلام خطى أبيه في كل أمر عرض له مع فارق بحدة الموقف وطبيعة الصراع. فبالرغم من اعتراف الموالي والمخالف بفضل الإمام علي عليه السلام إلا أن احدا لم يعرفه حق معرفته. عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "ما عرفك إلا الله وانا" فان الإمام الحسن عليه السلام قد أنكر فضله ولامه حتى أصحابه وأصحاب أبيه. وقد ذكر صاحب سفينة البحار أن ابن الأشرس دخل على الحسين يوم عرفة فوجده صائما ودخل على الحسن عليه السلام فوجده مفطرا، فقال للحسن عليه السلام: "أعوذ بالله أن تكونوا مختلفين.... فأجابه الحسن عليه السلام: "يا ابن الأشرس أما علمت أن الله تعالى ندبنا لسياسة الأمة ولو اجتمعنا على شيء واحد ما وسعكم غيره. إني أفطرت لمفطركم وصام أخي لصوامكم"[١١٧].

فاختلاف إرادة الحسن عليه السلام عن أرادة أبيه ليكون فعلهما سنة فيتيح للأمة حرية التصرف فيما تتعرض له من فتن بعد أن يلبي جميعهم نداء الله فيصير للأمة تراثا ثرا من سننهم تلائم ما قد يتعرضون له حتى قيام الحجة (عج).

قال الصادق عليه السلام كان قتال علي لأهل القبلة رحمة" وحين سأل كيف أجاب: لولا قتاله لأهل القبلة ما كان احد يعرف كيفية العمل فيهم"[١١٨].

قال تعالى عن رسوله الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء: ١٠٧)، وكان رسول الله يقول عن نفسه: "انما بعثت رحمة" ويقول لأمير المؤمنين عليه السلام: "أنت مني وأنا منك". فهو إذن رحمة للأمة وكان عليه السلام يقول لابنه الحسن عليه السلام: "ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو أصابك أصابني" فكان منهاج الحسن عليه السلام في الصلح رحمة للأمة كما كان قتال أبيه للأمة رحمة.

هوامش البحث

(١) تاريخ ابن عساكر: ج١٤ ص١٦٣.
(٢) مستدرك الصحيحين: ج٣ ص،١٨٢ وقريب من لفظه في البداية والنهاية ج٨ ص٣٥ ص٢٠٥.
(٣) كمال الدين: ج٢، ص٦٦٩، ب٥٨، ح١٤. بحار الأنوار: ج٣٦، ص٢٦٣، ب٤١، ح٨٣.
(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص١٤١.
(٥) سنن الترمذي: المناقب، مناقب الحسن والحسين: ح٣٧٠٢.
(٦) تاريخ ابن عساكر: ج١٤، ص١٢٩.
(٧) إحقاق الحق، ح٤، ص٨٢، عن كتاب (ينابيع المودة) ص٥٣ ط استانبول.
(٨) مناقب ابن شهر آشوب: ج٣، ص١٨٥.
(٩) كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج١، ص٢٩٩.
(١٠) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧. و كتاب عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار
(١١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج١، ص٩.
(١٢) مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٠٩.
(١٣) ينابيع المودة: ص ٢٥٨.
(١٤) ينابيع المودة: ص ٢٥٨.
(١٥) المعجم الغني: كلمة المودة.
(١٦) المعجم :اللغة العربية المعاصر: معنى كلمة المودة.
(١٧) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٨٧ - ٣٨٨.
(١٨) الرياض النضرة للطبري: ج٢: ص١٩٥.
(١٩) مقاتل الطالبيين: ٥٦-٥٥. وفي أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبى: ص ١٢٥-١٢٦.
(٢٠) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للشيخ زين الدين العاملي: ج٣، ص٧٤.
(٢١) مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص٧ ١٠.
(٢٢) رسالة في المتعتين للسيد علي الحسيني الميلاني: ص١ - ص٢٤.
http://www.mezan.net/books/aqida/resale5/html/rasa13.html ،
أمالي الشيخ الصدوق والمفيد والطوسي وهي جمع محمد جواد المحمودي، مؤسسة المعارف الإسلامية، الجزء الأول، ص٣٤١، الرواية رقم ٣٠٧.
(٢٣) بحار الأنوار: ج٤٣، ص١٣٤
(٢٤) أمالي المفيد ص٢٨١، ح٧. أمالي الطوسي ح١، ص١٠٧
(٢٥) جمع الزوائد: ج٩، ص ٢٠٣. المناقب: ٣ج ، ص١٠٦. والمستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٥٤.
(٢٦) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١، ص٢٢.

(٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه، من حديث رقم ١١٦٥، وفي رواية له برقم ١٣٩٤، وفي رواية له برقم ٤٠٩٧، ت ط ع.

(٢٨) نهج البلاغة ص١٢٩ـ ١٣٠، خطبة ٥٥، عيون الحكم والمواعظ: الفصل السادس - بلفظ لو و هو ثلاث وثلاثون حكمة،
http://www.alseraj.net/maktaba/kotob/hadith/hekam/arabic/products/books/oyoun/23/06.htm

(٢٩) صلح الحسن: ص٧، وانظر أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبى: ص١٣٢.

(٣٠) الاحتجاج: ج١، ص٢٦٠.

(٣١) ترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٢٠٠ والمستدرك للحاكم: ج٣، ص١٧٥

(٣٢) المستدرك: ج٣، ص١٧٠.

(٣٣) الحاكم المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل الزبير، رقم الحديث:٥٥٧٣٣

(٣٤) معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري: ج١، ص٣٤٥.

(٣٥) عن زاذان أبي عمر قال: سمعت عليّاً في الرحبة، وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم وهو يقول ما قال.فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه". مسند أحمد: رقم الحديث ٩٠٦.

(٣٦) سنن الترمذي: المناقب، مناقب الحسن والحسين، ح٣٧٠٢.

(٣٧) بصائر الدرجات: ج٨، ص٣٠٣.

(٣٨) الاحتجاج: ج٢ ص٢٦٩.

(٣٩) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ج٣، ص١٧.

(٤٠) نهج البلاغة: خ٢٧، ص٥٦.

(٤١) بحار الأنوار: ج٣٤، ص٥. نهج البلاغة: ص٩٨، من كلام له عليه السلام في توبيخ بعض أصحابه.

(٤٢) نهج البلاغة ٢ / ١٨٠.

(٤٣) غرر الحكم: ١٠٠٤١.

(٤٤) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب للحافظ الكنجي: ٢٨٣.

(٤٥) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج ٢ / ص ٨٦ .

(٤٦) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢١-٢٨. وانظر أعلام الهداية / الإمام الحسن المجتبى: ص١٥١

(٤٧) بحار الأنوار: ج٩٧، باب ٥، زيارته صلوات الله عليه المختصة بالأيام ، ص٣٦٤.

(٤٨) المستدرك على الصحيحين: باب الحدود، رقم المسألة: ٣٣٣٤.

(٤٩) شرح النهج: ج٣، ص٩-١٠.

(٥٠) المصدر نفسه: ص١١.

(٥١) المصدر نفسه: ص١٣.

(٥٢) المصدر نفسه: ص١٦-١٧. نهج البلاغة، ١٧، من كتاب له إلى معاوية.

(٥٣) الاحتجاج: ج٢، ص٢٦٨.

(٥٤) أمالي الطوسي: مجلس٢٠، ح ٤، ٥٤٥.
(٥٥) الاحتجاج ص٢٦٠.
(٥٦) شرح النهج: ج٣، ص١٧. نهج البلاغة: ص٤٣٧.
(٥٧) بحار الأنوار: ج٣٠، ص١٠٤. نهج البلاغة: ص٤٣٧.
(٥٨) شرح النهج: ج٣، ص١٧.
(٥٩) الاحتجاج: ج١، ص٢٦١.
(٦٠) الاحتجاج: ج١، ص١٦٠.
(٦١) الاحتجاج: ج، ص٢٦١.
(٦٢) الاحتجاج: ج١، ص٢٦٦.
(٦٣) شرح النهج: ج٣، ص٣٢. النهج: ص٤٥٠.
(٦٤) شرح النهج: ج٣، ص٣٠. نهج البلاغة: ص٤٥٠.
(٦٥) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ج، ص٦، بإسناده عن أبي رافع قال: أتت فاطمة بابنيها الحسن والحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه التي توفي فيها، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك ورّثهما شيئا. فقال: فأما الحسن فإنّ له هديي وسؤددي، وأما الحسين فإنّ له جودي وشجاعتي".
(٦٦) معالي السبطين: مقدمة الكتاب، المجلس الأول، ص٩.
(٦٧) الاحتجاج: ج١، ص٢٥٠.
(٦٨) البحار ج٤٢، ص٣٤٢.
(٦٩) معالي السبطين: ص٩.
(٧٠) المصدر نفسه: ص١٢.، البحار ج٤٣، ٣٤٦
(٧١) المصدر نفسه: المجلس الثالث، ص٢١
(٧٢) المصدر نفسه: المجلس الرابع، ص٢٣.
(٧٣) المصدر نفسه: المجلس الخامس، ص٣٠.
(٧٤) الاحتجاج: ج١، ص٢٥٨.
(٧٥) معالي السبطين: المجلس الأول، ص٩.
(٧٦) المصدر نفسه: ص١٢
(٧٧) المصدر نفسه: ص١١.
(٧٨) المعالي: المجلس التاسع، ص٤١.
(٧٩) المعالي المجلس التاسع، ص٤١.
(٨٠) نهج البلاغة لمحمد عبده: ج٢، ص ١٩.
(٨١) شرح النهج: ج٣، ص٩-١٠.
❖ بحار الانوار ٣٥٢/٤٣
❖❖ معالي السبطين: الفصل ١٤، المجلس ١٠ ص ٥٧٣

(٨٢) شرح النهج:: ج٢، ص١٢.
(٨٣) معالي السبطين المجلس السادس، ص٣١. الاحتجاج: ج١، ص٢٦١.
(٨٤) النهج: ج٢، ص١٣.
(٨٥) المصدر نفسه: ١٢.
(٨٦) المصدر نفسه: ١٢.
(٨٧) المصدر نفسه: ١٢.
(٨٨) الاحتجاج: ج١، ص٢٥٥.
(٨٩) المصدر نفسه: ص٢٦٠.
(٩٠) المصدر نفسه: ص٢٥٢.
(٩١) العتبة العلوية المقدسة، مناظرات الإمام الحسن عليه السلام.
http://imamali.net/old/%3Fpart%3D239
(٩٢) النهج: ص ١٣.
(٩٣) حياة الإمام الحسن: ١، ٤٩٢.
(٩٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٩٢-٣٩٤ وأعلام الهداية: ٩٤.
(٩٥) أعلام الهداية: ٨٣.
(٩٦) حياة الإمام الحسن للقرشي: ١: ٤٣٤-٤٣٥ وأعلام الهداية: ٨٦.
(٩٧) المصدر نفسه: ١٣٧.
(٩٨) شرح النهج: ج٣، ص١٦.
(٩٩) الاحتجاج: ج١، ص٢٥٢.
(١٠٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨، ص٣٦. بحار الأنوار: ج٢٢، ص٣٩١.
(١٠١) كتاب سليم بن قيس: السقيفة ص ١٠٩.
(١٠٢) نهج البلاغة: خ ٧٤.
(١٠٣) الاحتجاج: ج٢، ص٢٦٨.
(١٠٤) نفس المصدر: ص٢٦٩
(١٠٥) جواهر البحار: ج٣٦، كتاب تاريخ الإمام علي، باب إن الوالدين رسول الله وأمير المؤمنين.
(١٠٦) نفس المصدر: ص٢٧١ الاحتجاج: ج٢، ص٢٦٨
(١٠٧) تاريخ ابن معين: ج١، ص٣٦٩.
(١٠٨) وقعة صفين: ص١٠٣.
(١٠٩) حياة الإمام الحسن: ١، ص٥٥٧- ٥٥٨ وأعلام الهداية: ١٠٤.
(١١٠) المعالي: ص٩٣، نقلا عن سفينة البحار: ج٢، حرف الحاء بعد السين، ص١٩٨.
(١١١) المصدر نفسه: ص٢٧١.
(١١٢) المصدر نفسه: ص٢٧٢،

(١١٣) الاحتجاج: ج٢، ص٥.
(١١٤) معالي السبطين: المجلس الخامس، ص٣٠-٣١.
(١١٥) المصدر نفسه: ص٣١.
(١١٦) معالي السبطين: مقدمة الكتاب، المجلس الخامس، ص٢٦.
(١١٧) حياة الإمام الحسن: ١، ص٥٦٣-٥٦٦. وأعلام الهداية: ١٠٩)
(١١٨) معالي السبطين: ص٥٤.

قائمة المصادر والمراجع

١- الاحتجاج لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي: ج١، ط١، مكتبة ذو الجناحين، النجف الأشرف، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٢- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد للشيخ المفيد، طبعة سنة ١٩٣٥ اديان. علوم الدين.

٣- أعلام الهداية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، لجنة البحوث والدراسات، رقم المجلد ٤، مطبعة ليلى، ط١، تاريخ الطبع ١٤٢٢هـ. ق.

٤- الأمالي أو المجالس أبي جعفر بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق:ط١، قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الناشر: ردمك، سنة الطبع: ١٤١٧.

٥- الإمامة والسياسة لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (م٢١٣هـ، ت٢٧٦هـ) تحقيق: علي شيري. انتشارات الشريف الرضي، ط١، ١٣٧١ - ١٤١٣، أمير - قم - إيران.

٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره ج٢٢، ج٣٠، ج٣٤، ج٣٦، مؤسسة الوفاء بيروت، لبنان كافة الحقوق محفوظة ومسجلة الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣م مؤسسة الوفا، بيروت، لبنان - صرب ١٤٥٧.

٧- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة الجعفي البخاري، مكتبة الرشد ناشرون، طبعة ٢٠٠٦.

٨- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج٨.

٩- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج١٤، طبعة دار الفكر.

١٠- تاريخ ابن معين، معرفة الرجال :لأبي زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ) المحقق :الجزء الأول: محمد كامل القصار الناشر :مجمع اللغة العربية - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١١- حياة الإمام الحسن: باقر شريف القرشي، دار البلاغة للطباعة والنشر.

١٢- جواهر البحار في فضائل النبي المختار يوسف بن اسماعيل النبهاني التصنيف :طبعة بيروت سنة ١٩١٦.

١٣- رسالة في المتعتين للسيد علي الحسيني الميلاني

http://www.mezan.net/books/aqida/resale5/html/rasa13.html

١٤- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، ج١٨، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ط١.

١٥- شرح النهج محمد عبده: ج٣، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مكتبة النهضة العربية.

١٦- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: العلامة المتكلم الشيخ زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفى ٨٧٧، صححه وحققه وعلق عليه محمد الباقر البهبودي، الجزء الثالث المكتبة المرتضوية رقم التليفون 57135 مطبعة الحيدري.

١٧- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق (ت٣٨١)، ج ١: سنة الطبع: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٨- عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار: الحافظ يحيى بن الحسن بن البطريق الأسدي الحلي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة المطبوع، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ ق.

١٩- غرر الحكم ودرر الكلم لعبد الواحد الآمدي التميمي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، دار الكتاب الإسلامي ، ط١ ،١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مطبعة ستار، إيران.

٢٠- كتاب سليم بن قيس بالهلالي: سليم بن قيس الهلالي العامري، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، نشر الهادي، قم ، إيران، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢١- كمال الدين الكتاب :كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق (ت٣٨١): ج٢، تصحيح وتعليق: علي كبر الغفاري، محرم الحرام ١٤٠٥ - ١٣٦٣، ش المطبعة: الناشر: ردمك.

٢٢- مجمع الزوائد للهيثمي (ت٨٠٧)، ج٩، سنة الطبع: ١٤٠٨-١٩٨٨.

٢٣- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: ج٣، دار المعرفة، سنة النشر: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٢٤- مسند أحمد بن حنبل عبد الله الشيباني الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة.

٢٥- معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين عليهما السلام: الشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٢٦- معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري (ت١٤٢٨هـ): ج١، ط٢، بيروت، لبنان.

٢٧- منـــــاظرات الإمـــــام الحســـــن عليه السلام العتبـــــة العلويـــــة المقدســـــة. http://imamali.net/old/%3Fpart%3D2399

٢٨- مناقب آل أبي طالب لرشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازنداني: ج٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٩.

٢٩- نهج البلاغة: من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام، ط٤، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم - إيران.

٣٠- ينابيع المودة للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي (١٢٢٠ - ١٢٩٤)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط١، سنة: ١٩٩٧.

٣١- وقعة صفين: لنصر بن مزاحم المنقري، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٢، ١٣٨٢هـ، المؤسسة العربية للطبع والنشر والتوزيع. موقع يعسوب الدين.